

المعنة

* السنة الثالثة *

* الجزء الخامس *

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

* الاسكندرية - ديسمبر (كانون اول) سنة ١٩٠١ - رمضان ١٣١٩ *

مشاهير المنقذين المناخرين

المجد للعلماء فانهم خالدون

* المسيو (برتلو) اشهر علماء الكيمياء اليوم *

(واحتفال الجمهورية الفرنسية في هذا الشهر يوييله الذهبي)

لما كنا في المدرسة كان رئيسها واسانذتها الافاضل يوزعون على التلامذة في ختام السنة المدرسية جوائز من الكتب مصدرة بشهادة عليها هذه الكلمات « خير لي ان اكون عالماً فقيراً من ان اكون جاهلاً غنياً » فكان التلامذة الذين خلقوا من فطرتهم « ماديين » ويريد بهم الذين يفضلون المادة الذهبية والفضية على كل شيء يقولون ضاحكين : ان هذه العبارة تعزية للعلم فقط

وبينما كنا نفكر في جعل هذا التذكار تمهيداً للمقالة التالية لنستخلص منه نتيجة تنفي قول رفاقنا « الماديين » واذا زارنا بعض من حضرات القراء والاصدقاء في الثغر واخذوا يتكلمون عن لذة العلم وتفضيلها عند من يعرف قيمتها على كل لذة . فقال احدهم ما معناه : سأل احد الملوك عالماً مكباً على مطالعة كتاب في يده ما لذتك في هذه القراءة التي تحصر

بها نفسك وتضييق صدرك . فاجاب العالم : هذه لذة لو عرفتموها ايها الملوك لخاربتمونا بسيفوكم لتأخذوها منا

فقلنا حين سماعنا هذا القول الجميل حقاً ان هذا المثل جدير بان يكون تلمذة لذلك التذكار في صدر هذه المقالة

ولكن ما هو العالم الذي لو عرف لذته الملوك لاجموا العلماء بسيفوهم ليأخذوا منهم عقولهم توصلاً الى لذته . هل هو ان يدرس الشاب سنتين او ثلاثاً في مدارسنا الشرقية ثم يخرج منها ودماعه محشو بقواعد الصرف والنحو والشعر والسجع البارد الذي « نبت في المهد . وصار في كل يد » كما قال الهمذاني . ام ان يصرف عشرين عاماً في الكتابة ثم يضطر الى القاء القلم من يده لانه عاجز عن ان ينشئ به لنفسه مركزاً خاصاً يخدم به ابناء جنسه بشرف واجتهاد من غير ان يخفض من دعواه الفارغة وكبريائه المضحكة . ام ان يترجم القصص والروايات او ياخذ في الكتابة في الجرائد مع جهله بمبادئ العلوم الاولى واصول المواضيع التي يعث بها قلمه . ام ان يلجأ الى الزويق والتقيق والتعليق استمالة لبسطاء القراء متوقعاً رضاهم عنه من نظافة طبع كلامه وجمال صوره من غير ان يهتم بنصرة المبادئ ونقيرير الحقائق . كلا ان هذه كلها تجارة وصناعة لا علم وادب . واصحابها لا يقصدون بها طلب العلم لذاته ولكن ربح المال . ولذلك لا يجوز لك ان تعتب على العلم اذا رايته منخفاً في الشرق ولان تعجب اذا قيل لك انه قدم عليه في بلادنا نصف قرن وهو لا يزال في دور الطفولية خمسون سنة مضت على العلم في بلادنا وهو لا يزال في دور الطفولية مع ان عالماً واحداً في اوربا قلب علم الكيمياء في ٥٠ سنة وفتح للعالم ابواباً جديدة . وهذا العالم هو المسيو مارسليين برتلو اشهر علماء الكيمياء في هذا الزمان الذي احتفلت الجمهورية الفرنسية في ٢٤ نوفمبر الماضي بيوبيله الذهبي تذكراً لانقضاء ٥٠ سنة عليه وهو يخدم وطنه وبني جنسه انفع خدمة . فلم نر في هذا الشهر موضوعاً لتصدير الجامعة به احق من ترجمة هذا الرجل العظيم وذكر الاحتفال الكبير الذي اقيم له في يوم بيوبيله لثري الشرفيين ولا سيما المشتغلين بالعلم منهم صورة العالم الحقيقي فضلاً عما في ترجمته من الوقوف على اكتشافاته الكيماوية العظيمة التي غيرت علم الكيمياء وما في افكاره وآرائه الفلسفية من الفائدة . فنقول

✽✽✽

✽ ترجمته ✽ ولد المسيو برتلو في باريز في ١٣ فبراير من عام ١٨١٤ . فعمره اليوم

٧٧ عاماً . وقد كان أبوه طبيباً في باريز فتلقى برتلو الصغير دروسه في مدرسة هنري الرابع فيها وظهرت نباهته منذ صغره . وفي عام ١٨٤٦ نال جائزة الشرف في الفلسفة ثم ترك المدرسة واخذ يدرس لنفسه . وفي عام ١٨٥٤ نال رتبة دكتور في العلوم بعد الامتحان . وكان يومئذ مساعداً للاستاذ بالارد في تعليم الكيمياء في مدرسة كوليج دي فرانس . فيظهر من ذلك ان ارتفاعه كان باعتماده على نفسه لا على المدرسة

وظهر اول تأليف لبرتلو في الكيمياء في عام ١٨٥٠ . وقد حدث عن نفسه بالامس فقال . انه كان في ذلك الزمان يتناول كل ما يُنشر في العام من الاسفار الكيماوية ويطلعها بامعان ويحللها لنفسه تحليلاً كيماوياً مع ان عددها كان يتجاوز احياناً ٣٠٠ سفر . فهذا الدرس المستمر والبحث الدائم مكنه من الوقوف على جميع اصول هذا العلم وفروعه واكسبه شهرة بعيدة بين زملائه فلم تأت سنة ١٨٦٣ حتى سأل اساتذة كوليج دي فرانس المسيو ديروي وزير المعارف يومئذ ان ينشئ في هذه المدرسة كرسيّاً للكيمياء الآلية ليبسط منها الاستاذ برتلو آراءه وافكاره . فاجابهم الوزير الى ذلك . منذ هذا الحين عين برتلو استاذاً للكيمياء الآلية في هذه المدرسة ولا يزال في هذه الوظيفة الى اليوم . ومن هذا الكرسي العلمي اطلع الناس في السنوات التالية على الاكتشافات العظيمة التي اكتشفها وسيرد تفصلها

ولما اشتهر برتلو هذا الاشتهار تسابقت اليه الجمعيات العلمية في اوروبا وفرنسا فجعله اكثرها عضواً منه او مراسلاً له . ومنحته الحكومة الفرنسية وسام جوقة الشرف من رتبة كران اوفيسيه فضلاً عن الاوسمة التي جاءته من ملوك اوروبا . ولما شبت نار الحرب بين فرنسا وبروسيا وحصر الالمانيون باريز عين برتلو رئيساً للجنة علمية انشأت للدفاع عن تلك العاصمة فانصرف برتلو يومئذ الى البحث في المنفجرات والمنفرفعات كالبارود والديناميت والنيتر وغليسرين وصنع المدافع واتخاذ الارض او ماء النهر موصلاً كهربائياً بغني عن السالك التلفزي في ارسال الرسائل البرقية من باريز المحصورة الى ما جاورها . ثم عقد الصلح فعينه الشعب عضواً في مجلس الشيوخ مدة حياته مكافأة له على خدمته النافعة في اثناء الحصار . فالتقى في مجلس الشيوخ خطباً بليغة دافع بها عن وجوب جعل مدارس الحكومة مجردة عن الصبغة الدينية وجعل المعلمين فيها من غير رجال الدين لاختلاف عناصر الامة الفرنسية بين كاثوليك وبروتستانت واسرائيليين وجاحدين وقد قرر مجلس الشيوخ يومئذ هذا الامر ولا يزال معمولاً به الى اليوم . ثم عين وزيراً للمعارف في عام ١٨٨٦ في وزارة المسيو غوبله

الراديكالي . وقد ساح في اوربا كلها وحضر الاحتفال بفتح ترعة السويس واغتتم هذه الفرصة فزار اكثر مدن القطر المصري . ومنذ بضع سنوات عين وزيراً للشؤون الخارجية في فرنسا فتمكك الساسة يومئذ هذا الكيماوي الذي جعلوه في يوم واحد سياسياً . ولكنهم لو كانوا ممن عرفوا برتلو وعلموا باطلاعه على جميع شؤون الحياة حتى الحياة السياسية مع انصرافه الى الكيمياء والعلم الوضعي لتحقيقوا ان السياسة لا تخسر شيئاً بدخول رجل مثله اليها بل انها تكتسب رزانة العلم وصدقه وعدالة الفاسفة وحكمتها . وهي الامور التي تحتاج السياسة اليها ولا سيما في هذا الزمان

وفي العام الماضي جعلته الاكاديمية الفرنسية عضواً من اعضائها خلفاً للعالم المسيو برنارد فالتي المسيو برتلو فيها خطبة شائعة واجابه عنها المسيو جول ليمتر . وربما لخصنا الخطبتين في جزء فادم

وما زال برتلو عاملاً نافعاً تارة في الجمعيات العلمية الذي هو منها وتارة في كرمي التعليم في كوليج دي فرانس وطوراً في مجلس الشيوخ الذي هو عضومنه وحياناً في رئاسة الجمعيات واللجان الاقتصادية والعلمية حتى حال عليه هذا الحول وبه انقضى نصف قرن على دخوله في الكيمياء فقررت الحكومة الفرنسية الاحتفال بهذا اليوبيل احتفالاً رسمياً كما تقدم . ولكن قبل ان ناتي على تفصيل هذا الاحتفال لا بد من الاشارة الى اكتشافات برتلو المفيدة

* اكتشافاته المفيدة ومؤلفاته * اعظم اكتشافات برتلو اكتشافان الاول « التركيب الكيماوي » والثاني « النمو الكيماوي بواسطة الحرارة » وكل واحد من هذين الاكتشافين قد اغنى الصناع والتجار وادر عليهم اخلاف الثروة . وليبان ذلك نقول كان للكيمياء قبل برتلو دوران . الدور الاول دور التحريات والاهام وهو الدور الذي كان فيه كيماويو المتقدمين يريدون بها تحويل المعادن كالفخاس والرصاص الى ذهب وفضة . وقد اشتغل بذلك كثيرون من باحثي اليونان والرومان والعرب . وللعرب سيفي ذلك فصص كثيرة وسيرد راي برتلو في هذا الامر . ولكن الباحثين في هذا الموضوع اذا كانوا لم يصلوا اليه فانهم افادوا العلم افادة خالدة بسببه وهو وضعهم فن الكيمياء وتمهيد الطريق لجلل هذا الفن علماً باصول . فانه بعد ان انقضت الاجيال على علم الكيمياء وهو خرافة وصل الى دوره الثاني وهو التحليل فصارت الكيمياء كما قال فيها لانواز به ابوها « عبارة عن علم التحليل » وقد اراد بذلك تحليل المواد المركبة الى موادها البسيطة . فاذا

أخذ الكيماوي الهواء مثلاً استطاع حله الى اكسيجين ونيروجين واذا اخذ الماء حله الى
العنصرين اللذين تركب منها وهما الاوكسجين والهيدروجين وقس على ذلك باقي المواد
الطبيعية . هكذا كانت الكيمياء قبل برتلو . وقد حاول كثيرون ان يتخطوا هذا الحد
الى التركيب بدلاً من التحليل فما استطاعوا ذلك . وقد قال العالم برزيلوس في عام ١٨٤٨
بهذا الشأن ما نصه « ان النواميس التي تجري عليها المواد غير الآلية (١) مخالفة للنواميس
التي تجري عليها المواد الآلية فاذا تمكنا من تركيب الاولى فاننا عاجزون عن الثانية .
ولذلك لا سبيل لنا الى معرفة طريقة تركيب المواد الآلية » وقال جرهرت في عام ١٨٥٠
وهو العام الذي ظهر برتلو فيه « ان علماء الكيمياء يصنعون عكس ما تصنعه الطبيعة ولا
يقدرون على غير ذلك . فانهم يخللون واما الطبيعة فانها تركب »

فلما جاء برتلو وجد ان التركيب في الكيمياء اعظم مجهولاتها واكبر حاجاتها فصرف
فكره اليه . وفي عام ١٨٦٠ اصدر كتاب « التركيب في الكيمياء الآلية » فكان لهذا
الكتاب دوي في اوربا واميركا ومنذ هذا الحين انفتح لعلم الكيمياء باب جديد وهو
التركيب . فكان به تمامه

وقد تمكن برتلو بالقواعد الكيماوية التي اكتشفها من صنع مواد كثيرة كان بها غنى
الصناع والتجار . فانه صنع من مجرد المواد الكيماوية الكحول التي تستخرج من الاثمار والحبوب
والبنزين والنفثالين والكربون وغيرها فكانت قوة عمله عبارة عن قوة الطبيعة الحية تركب
المواد الطبيعية كما ركبته الطبيعة على نسبة واحدة وبخواص كخواصها . والامر العظيم في
هذا الاكتشاف ان برتلو لم يحتكر صنع المواد التي اكتشف تركيبها ولم يبيع حق صنعها من
احدى الشركات بل اطلقها للجميع فرنسويين وغير فرنسويين مع انه لو احتكرها لجاءته
بجبال من الذهب . فاحكم بالعالم الذي يكون غرضه النفع العام لا ابتزاز الاموال

واما اكتشافه الثاني وهو « النمو الكيماوي بواسطة تولد الحرارة » فقد ساعده على انقان
التركيب في الكيمياء اذ وسع دائرة هذا التركيب فضلاً عما افاد به وزارة الحربية الفرنسية
من تحسين المتفرقات والبارود الفرنسي . وهذا ما دعا الحكومة الى جعله في ذات يوم
رئيساً للجنة البارود والمتفرقات

وليسو برتلو ٦٠٠ سفر في الكيمياء تقريباً . وله في التركيب الكيماوي والمواضيع الكيماوية

(١) يعنون بالمواد الآلية المواد التي في تركيبها آلة كالحيوان والنبات ويريدون
بالمواد غير الآلية الجماد

الخطيرة كتب يرجع اكابر العلماء اليها

✽ اخلافة وصفاته ✽ اما اخلاق برتلو فهي كاخلاق كثيرين من الرجال العظام تنشأ شديدة عنيفة في الصغر ثم تنفضي الى الهدوء والبساطة التامة في الكبر . وقد قاسي برتلو عناءً شديداً في صغره من حدة طبعه واستقلال فكره وغرابة آرائه . اما اليوم فقد صار شيخاً مهيباً بسيطاً في جميع حركاته وسكناته . وهم يسمونه اليوم « ابنه رجال فرنسا واكثرهم بساطة » انظر اليه حين مسيره الى معمله تراه في الشارع ماشياً ببساطة كباقي الناس وهو سريع الخطى مع شيخوخته وملابسه من ابسط الملابس . ولكنه يمشي وكشفه اليخني اعلى من كتفه اليسرى لتعود يمناه رفع قوالب الكيمياء الى موازنة عينيه لفحصها ومراقبتها . واذا كان سائراً على هذا الوجه ولح صديقاً له من بعيد ساءه هذا الاتفاق لان محادثة الصديق تقطع مجرى افكاره . ذلك ان دماغ برتلو لا يستريح ابداً بل هو كالمقدر المنصوبة فوق النار يظلي دائماً في الليل والنهار في سيره وفي وقوفه في معمله وفي خارج معمله ولولا ذلك لما نسي له ولغيره من اصحاب الاعمال الكبيرة ان يقوموا بشؤون اعمالهم العديدة . وكثيراً ما ينام برتلو نوماً متقطعاً لاشتغال دماغه بمسألة هامة فينتبه من النوم بالرغم عنه ويقوم الى مائدته لحل هذه المسألة

ولبرتلو عدة اولاد واحفاد . وهو يحب احفاده (اولاد اولاده) حباً شديداً وقلاً تخلو جيوبه من الحلويات المصنوعة للاولاد ليقدمها لهم . ولكن هذا الرجل الممتليء الدماغ بالافكار والمسائل العلمية لا يترجم حبه للاولاد بهتاف او بتقبيل او ملاعبة لان معيشة الانفراد والاشتغال العلمي المستمر لا يعيدان الانسان لذلك

وبرتلو مشهور بثبات الجاش وقد عرض حياته للخطر في كثير من الامتحانات العلمية . يروى انه كان في ذات يوم يجرب في احد المدافع مادة من المتفرقات وهو واقف وراء المدفع مع ضابط فرنسوي وكل واحد منهما ينظر الى تلك المادة من ثقب في ظهر المدفع . فبعد حين انفجرت المادة وجرى منها لسان الى الثقب الذي كان الضابط ينظر منه فمات الضابط في الحال . وفي ذات يوم قدم برتلو الى كولييج دي فرانس ليلقي فيها الدرس الاعتيادي فوجد ان ضابطاً روسياً قد عبث بكمية من البارود فتركها تحمي الى درجة توجب انفجارها فبادر برتلو في الحال الى تبريدها ولولا ذلك لنسفت المدرسة نسفاً . وفي مرة اخرى اشتعلت زجاجة من الايثر السولفيديكي بجانب وعاء كبير مملوء من الايثر ففر جميع الحاضرين

خوفًا من الانفجار اما برتلو فدنا من الوعاء الكبير بجاش رابط وحمله بين يديه وخرج به الى غرفة اخرى

* آراؤه الفلسفية وقوله في الدين والفلسفة * وقد اشتغل برتلو بالفلسفة فوق اشتغاله بالكيمياء وله كتابات في ذلك الموضوع . منها « كتاب الى المسيو رنان » يجدر ان يكون مثالاً لجميع الفلاسفة الالهيين والماديين . وقد بسط برتلو في هذا الكتاب خلاصة فلسفته . ويؤخذ منها انه يعتقد بان اصل المادة في الارض واحدة فان اكتشافاته اثبتت ان المادة غير الآلية مشبهة في تركيبها وحقيقتها ونواميسها للمادة الآلية وانه ما من فرق بين المادة الحية والمادة الجامدة في الكيمياء قطعياً . واذا كان ذلك امراً ثابتاً فاصل المادة واحد وهو المادة . اما كيف دب الحرارة والحياة في هذه المادة فهو امر مجهول ولا سبيل الآن الى الوصول اليه

وليس هذا بالامر الذي ذكرنا استحسانه آنفاً فان هذا الراي راى الماديين من قديم ولا جديد فيه سوى اثبات برتلو باكتشافاته الكيماوية اشتراك المادة الآلية وغير الآلية ورجوعهما الى اصل واحد ولم يكن هذا الامر ثابتاً قبله . الا ان اصحاب الكتب لا ينكرون هذا الامر لان كتبهم تدل على ان الانسان لم يخلق الا من تراب الارض . ولكن الراي الخطير الذي رآه برتلو هو هذا : ان العلم الوضعي يبني قصوره تارة على اساس المشاهدة والتجربة والحس وطوراً على اساس القياس والافتراض . ومتى بنى علماؤه على اساس الاول كان لهم ان يجزموا بصحة علمهم ولكنهم متى بنوا على الاثالث الثاني وجب ان لا يقطعوا فيه

اما علماء ما وراء الطبيعة فانهم يبنون تعاليمهم على اراء اوقيسة ومبادئ عقلية ويقطعون بصحتها دون ان يقبلوا ردّاً عليها فهم في ذلك مخطئون . ولكن هل خطأهم دليل على ان القوا عد العديدة التي يضعونها والمذاهب الفلسفية الكثيرة التي ينشئونها فاسدة لا يجب الالتفات اليها . كلا . لان العقل البشري اذا لم يشتغل بهذه المواضيع السامية فباي شيء يشتغل . فلا باس ان يتوسع اصحاب هذه المذاهب الفلسفية بمذاهبهم ويؤكدوا صحتها ويثبتوا حقيقتها ولكن على شرط ان لا يتخذوها ذريعة الى نفي العلم ومقاومته ولا يدعوا تعيين سبيلها وبقواعدها

ومعنى ذلك بالابضاح ان العلم والدين حاجتان من حاجات البشر فيجب ان يعيشا جميعاً

الى جنب باتفاق وتساؤل . ولكل فريق من علمائهما ان يبنى المذاهب التي يراها ويعتقدونها صحيحة دون تعرض لمذهب صاحبه . وهذا القول خاص ببرتلو دون سواء من فلاسفة العلم الوضعي لان هؤلاء لا يقبلون قولاً عما وراء الطبيعة قطعياً ولا يسلمون الا بما هو ضمن الطبيعة من القضايا التي تدرك بالحس وترى بالمشاهدة . فبرتلو اذا اكثر تساهلاً منهم جميعاً . ولذلك قال له جول ليجرما قال حين استقباله في الاكاديمية الفرنسية في العام الماضي كما سيبنى في مقالة ثانية

(رأيه في مستقبل العلم والعالم والبشر) وفي ليلة الاحنفال بيوييل برتلو ذهب مخبرو الجرائد الباريزية لمحدثته فدار بينه وبين احدهم حديث في غاية الاهمية عن مستقبل العلم والعالم ومصير البشر . وقد ساله محادثه اولاً : هل تروم ايها المعلم ان تعود الآن شاباً وتعيد حياتك مرة ثانية . فابنسم المسيو برتلو واجاب كلا لا اريد ذلك لان للحياة آلاماً جسدية وادبية كثيرة فضلاً عن ان جميع الاصدقاء الذين كانوا يعرفون اخلاقي « وينعمون » نفسي قد ماتوا جميعاً . قال الكاتب : ثم اخذ برتلو يتكلم عن الحياة ومستقبل العلم والعالم متدفقاً تدفق السيل . وكنت انظر الى دماغه وهو يتكلم فيخيل لي انني ارى معمل كياويبا تُمد فيه الافكار السامية والآراء الصائبة . فصرت آسف حينئذ لانه متى وقف دولاب هذا المعمل وتفرق فقير النحل الذي فيه لم نجد لدينا احداً يرث عظمته وعلمه اما ما كان يقوله حينئذ برتلو فهذه خلاصته

لما نشرت اول سفر كياوي في عام ١٨٥٠ كان عدد الاسفار الكياوية التي تُنشر في كل عام ٣٠٠ سفر . فكنت اطالعها كلها واحللها تحليلاً . اما اليوم فيبلغ عدد هذه الاسفار الف سفر في العام فضلاً عن الجرائد والمجلات الكياوية التي يبلغ عددها ١٠٣ . وما عدا هذا فقد كان التاليف في الكيمياء في الزمن الماضي مقصوراً على اللغة الفرنسية والانكليزية والالمانية والابطالية . فكان العالم يكتب بدرس هذه اللغات الاربع للوقوف على جميع اعمال العلماء . اما اليوم فان علماء الروس يكتبون بالروسية وعلماء هولانده بالهولاندية وعلماء نروج بالنرويجية وهلم جرا . فصار من المستحيل على العالم الكياوي ان يقف على مجرى هذا العلم وعلى جميع اعمال رصفائه . وربما كنت انا آخر ذلك النسل الكياوي القديم الذي استطاع في حياته الوقوف على جميع الاعمال الكياوية في زمانه وما قلته عن الكيمياء اقله في باقي فروع العلم كالطبيعات والطب والتاريخ وما اشبهه .

وحسي ان اقول لك انه يردني من مجالات الطب فقط ثلاث مجالات في كل يوم . ولا ريب ان عدد العاملين في العلم سيزيد في المستقبل باقبال ابناء الاجيال الآتية . وبناءً عليه يصير كل عالم عاجزاً عن الوقوف على اعمال جميع رصفائه في فنه فيصبح والحالة هذه عاجزاً عن تقديم علمه وترقيته لان الترقية والاكتشاف والاختراع تستلزم وقوف العالم على جميع ما يجري في الفن الذي يشتغل به . فغير بعيد ان يُصاب العلم في المستقبل بالوقوف عند حد محدود للسبب الذي تقدم .

وما قلته في التقدم العلمي اقله في التقدم المادي

فانه لما كان داب الشعوب الصيد والقتل كانت معيشتها تستوجب وجود اراضي واسعة . ولما صار دابها الزراعة صارت تكتفي بأراضي اقل اتساعاً . اما اليوم فقد صار كل شعب قادراً على المعيشة في اية ارض كانت وان كانت ضيقة لان اصول الزراعة الحديثة ولا سيما اصول الاستنبات الصناعي تمكنه من استخراج غذائه منها كيف كانت الحال . ولكن الانسان متى قدر في المستقبل على استخدام قوات الشلالات ومجاري المياه واكتشف طرق استخدام المد والجزر وحرارة الشمس والارض واستبدل الحيوانات والنباتات التي يتخذها غذاءً بغذاء صناعي كيمياوي فانه يصل حينئذٍ الى قمة الارتقاء فيتكاثر وينمو في الارض حتى يصير الارض ضيقة دونه . فيقف تقدمه بالرغم عنه

فساله الكاتب . وهل يجب ان نعتقد بإمكان الغذاء الصناعي في المستقبل . فاجاب برتولو لا ريب في ذلك ابداً . فاني ارى منذ الآن ان البشر في المستقبل يستبدلون غذاءهم من الحيوان والنبات بغذاء كيمياوي يؤلف من المواد المغذية . وهذه المواد حاضرة لدينا الآن وفي امكاننا تأليف غذاء الانسان منها فيتغذى بها كذا يتغذى بالحيوان والنبات الآن الا انها لا تزال غالية الثمن . وانما ترخص اثمانها متى تمكن الانسان من استخدام حرارة الشمس في استخراجها وتاليفها كما تمكن من استخدام مجاري المياه لتوليد الكهربية . وحينئذٍ يستغني الانسان عن الارض لانه يصنع بالكيمياء بثن قليل جداً ما يقوم مقام اللحم والخبز وغيرها

فساله الكاتب . وهل تعتقد بمقدرة الانسان على اطالة الحياة في المستقبل . فاجاب برتولو . لا اعتقد بذلك مطلقاً وان كان متشنيكوف يقول بإمكانه (راجع مقالة اطالة الحياة في الجزء ٢١ السنة الثانية) ولا اجهل انه اذا قدر العلم على تغيير خلايا الدماغ وكريات الدم وثقوبتها وتحسينها استطاع ان يصنع من البشر نسلًا يختلف شأنه عن البشر

ويستغرقهم جميعاً . ولكن هذا القول حلم وخيال . فقال الكاتب : تريد ان تقول انه افترض . فاجابه برتلو : بل حلم وخيال . حلم وخيال

✽ رايه في مستقبل العمال وارباب الاعمال ✽ وقد القى المسيو برتلو منذ سنتين خطبة في احتفال اقامته جمعة « تعميم الفنون » التي لها ٥٤٩ فرعاً للتعليم في باريز ونشر مبادئها الفنية فقال في هذه الخطبة في مستقبل العمال وارباب الاعمال قولاً صفت له جميع الجرائد الجمهورية . وهذه خلاصته . قال

« انني اتكلم الآن عن العلم . ولكي لا اريد به العلم المتنفخ كبرياء وقسوة الذي يجلس في القصر العاجي بعيداً عن اهواء الانسانية ومتاعها وغير عابئ بها . فان هذا العلم لم يكن علم اجدادنا الذين رفعوا اصواتهم في القرن الثامن عشر واعدوا الانقلاب الاجتماعي العظيم الذي حدث بعدهم (اي بعد الثورة التي تحكي قصتها في نهضة الاسد) وقد كان من نتيجة ذلك الانقلاب تاسيس العلم على دعائم جديدة وحدثوا الاكتشافات العظيمة التي اصبحت تحول دون قيام طبقة من النبلاء تحتكر لنفسها كل شيء وتبني احتكارها على نظام اجتماعي نظنه ثابتاً . واهم تلك الاكتشافات دخول الآلات الميكانيكية الى المصانع ولكن لما دخلت هذه الآلات الى المصانع خيل لبعضهم ان دخولها هذا سيكون داعياً الى عبودية البشر بتقييد العملة بخدمتها كلهم من بعض دواليبها . فاذكرنا هذا القول قول اريسطو الذي كان يعتقد بوجود الاسترقاق لحاجة المطاحن والآلات النسج الى ارقاء يدبرونها .

ولكن من حسن حظ الانسانية انه لم يقض على البشر بهذه الحالة الهائلة . فان انقلاباً جديداً بدأ يحدث تحت نظرنا في هذه الايام . وذلك ان الآلة الميكانيكية تقتضي ادارتها ذكاء ومعرفة فصار العامل منها بمثابة مدير ومحرك لا بمثابة جزء او دولاب . وبما انه صار من الواجب ان يكون العامل وراء الآلة عارفاً بنواميسها لادارتها فقد صار من الواجب بحكم الطبع ارفقاء حاله عن حالة الجهل والشقاء الماضيين . لان معرفته بادارة الآلة تجعله رجلاً وتملاً الحفرة العميقة التي كانت بينه وبين العلماء وتصوره عالماً او نصف عالم . وفي ذلك ما فيه من تحسن حاله الادبية . وحاجة الآلة اليه تستلزم ان يكون شريكها في الفائدة الحاصلة من عملها معاً وفي ذلك ما فيه من وجوب زيادة اجرتة واشتراكه مع صاحب المال في الربح الناتج عن عمله . وهكذا تكون الآلة البخارية سبيلاً لزيادة هناء

العملة واستقلالهم بدلاً من اشقائهم واذلالهم . ولا يخفى ما في هذا القول من الراي الاصيل والحكم العادل

* رأيه في تحويل المعادن ذهباً * ولا بدء عند الكلام عن الكيمياء من الكلام عن الموضوع الذي كان سبباً في نشأة الكيمياء وهو تحويل المعادن ذهباً . اما المسيو برتلو الذي على رايه الممول في هذه المسألة لانه أكثر الكيماويين اطلاعاً في هذا الزمان فانه يقص بهذا الشان قصة غريبة . وخلاصة هذه القصة ان في مدينة دوتيه في فرنسا بعضاً من المشتغلين بالكيمياء القديمة التي مدارها على تحويل المعادن ذهباً وقد دعوا المسيو برتلو في ذات يوم الى زيارة معلمهم الذهبي فذهب برتلو الى دوتيه . قال : ولما وصلت الى منزل المسيو جوليفه كاستلورئيس هولاء الكيماويين دخلت فوجدت عنده اثنين آخرين وهم يشتغلون باتون كيماوي بين ايديهم . وقد نظرت لديهم كثيراً من كتب برتلو (اسبى كته) وكتب لافوازيه وغيره . فسألتهم اين ذهبهم المعدني فارو في اولا الاتون الذي يطبخون الذهب فيه وقال لي رئيس المعمل ان درجة الحرارة في هذا الاتون لا تتجاوز ٣٠٠ درجة ابداً ولكنها تستمر على هذه الدرجة شهوراً عديدة . ذلك ان الذهب في رايه لا يطبخ الا بجمارة مستمرة شهوراً . ثم ان رئيس المعمل جاء بحجر غريب الشكل لم اعرف من مادته سوى انها ذات لون بنفسجي قائم وفيها نقط حمراء . وقال لي : انظر هذا الحجر فهو حجر الفلاسفة الذي يجعل المعادن ذهباً ولكنني لا اذكر لك تركيبه قطعياً . فقلت له ارني ذلك . فاخذ حينئذ شيئاً من الزئبق والرصاص والقصدير ووضعها في اناء على النار ثم كسر قطعة من الحجر الذي سماه حجر الفلاسفة والقي القطعة في ذلك المزيج . فشهدت عند ذلك مشهداً غريباً . فان المزيج اخذ يتحرك ويتماصك حتى صار كتلة واحدة . ثم اخذ لونه بالتغير وظهرت على سطحه قشرة ذهبية لا شك فيها . فاستغربت الامر وازددت انتباهاً الى هذا التركيب العجيب وانا لا اصدق ما ارى بعيني . ولكن تلك القشرة الذهبية ما لبثت ان غابت بعد حين وعاد المزيج الى لونه . فالتفت الى رئيس المعمل وقلت له لماذا غاب ذلك اللون . فاجابني الى هنا وصل علمنا واكتشافنا حتى الآن . فاننا نؤلف بهذا ما نسميه « ذهباً وقتياً » وهو عبارة عن مادة تحضر حيناً ثم تغيب . ولم يبق علينا سوى ان نمنعها من الغياب بعد حضورها . ولو لم يتفجر الاتون في الايام الاخيرة لنلنا امنيتنا وما لا يحتاج الى بيان ان المسيو برتلو يقص هذه القصة وهو بضحك ولكنه يعتقد

ان تحويل المعادن ذهباً امر ممكن في المستقبل وان الكيمياء لا بد ان تصل الى ذلك يوماً من الايام

✽ احتفال الجمهورية بيوبيله ✽ اما الاحتفال الذي اقيم في قاعة كلية السوربون في باريز اكراماً للمسيو برتلو وتعييداً لمرور خمسين سنة على نشره اول سفر كيمائي فقد كان شبيهاً بالاحتفال الذي اقيم للعالم باستور منذ بضع سنوات . ولما حانت ساعة الاحتفال غصت القاعة بالوف من خاصة الناس فضلاً عن الوف الشعب التي كان يزحم بعضها بعضاً حول الكلية لرغبته في مشاهدة العالم المشهور والاشترك في الاحتفال بعيد العلم مكافأة له على خدمته الشعب باكتشافاته ولسانه وقلمه اكثر من نصف قرن . ولما دقت الساعة العاشرة قبل الظهر دخل جناب المسيو لوبه رئيس الجمهورية بتلوه المسيو برتلو والوزراء والعلماء فجلس المسيو برتلو في كرسي في الوسط وجلس المسيو لوبه عن يمينه والمسيو (لايك) مدير الجلسة لانه وزير المعارف عن يساره . وتلاهما عن اليمين رئيسا مجلس الشيوخ ومجلس النواب ورئيس الوزارة وباقي الوزراء وعن اليسار اشهر علماء فرنسا ودكاترتها . وقد حضر الاحتفال وفود خصوصية قدمت من البلاد الاجنبية للاشتراك بهذا العيد العلمي العام وفي جملة وفد انكليزي من قبل المجمع العلمي البريطاني يتقدمه المستر غلادستون والمستر رمساي ووفد الماني من قبل اكااديمية بروسيا الملكية يتقدمه المسيو فيشر ووفد نمساوي وغيرها من جميع اكاديات اوربا . وكلها تحمل رسائل تهنئة خصوصية من اكادياتها الى المسيو برتلو . وفي جملة هذه الرسائل واحدة من ملك بلجيكا ووسام شارل الثالث من درجة كران كوردون من ملكة اسبانيا

✽ خطبة وزير المعارف ✽

ولما انتظم عقد الاحتفال انتصب المسيو لايك وزير المعارف ومدير الجلسة والتي خطبة ناتي على اهم ما فيها . قال مخاطباً رئيس الجمهورية

« يا حضرة الرئيس

« ان حضورك الآن بيننا يكسب هذا الاحتفال صبغته الحقيقية ويدلنا الآن على

ان فرنسا كلها تشترك في اكرام احد ابنائها

ثم التفت الى المسيو برتلو واتم خطبته . فقال

« ايها المعلم العظيم

« لو كان لا يجوز لاحد غير رؤسائك ان يثني عليك وعلى اعمالك لما وجدت بينهم من يقدر على ذكر اعمالك ومجده بشرح وابطاح . لذلك اترك بيان ذلك للعلماء . ولكن في اعمالك شيئاً نفهمه نحن وان لم نكن علماء وهو جمال العلم وعظمته وشرف مقاصده ومنافعه التي لا تشبهها منافع . فاننا ننظر الى معملك الكيماوي كنظرنا الى هيكل لانك في هذا المعمل سالت الطبيعة فاجابتك بما اجابتك . على اننا ننظر اليه ايضاً برهبة وخشوع لان في الاكتشافات التي صدرت منه شيئاً يكاد يشبه السحر لغرابته وعجائبه

ولقد جاء لافوازيه قبلك فنقبض القول بالعناصر الاربعة ووضع للكيمياء دعائم ثابتة بدلاً من الافتراضات والتخمينات التي كانت قديماً . اما انت فقبضت على هذا العلم بيدك القوية ووسعت دائرته بما زدت فيه وادخلت اليه من الحقائق الثابتة حتى اصبحت انت نفسك لا تستطيع الوقوف على جميع اجزاء مملكتك

ولقد كان لافوازيه يقول : ان علم الكيمياء يسير متقدماً نحو غرضه وهو الكمال بقسمته الاشياء ثم قسمتها ثم قسمتها . وهو عبارة عن فن التحليل » اما انت فاجبت على هذا القول بقولك « ان الكيمياء توجد مادتها . وهي تركيب المادة التي حلتها . وبهذا التركيب توسع دائرة سلطتها على المواد اياً كانت ومهما كان اختلاف عناصرها دون ان يقوى شيء على الوقوف في وجهها » وبناء عليه اكتشفت قواعد التركيب

فاصبحت منذ ذلك الحين تامر المادة فتطيعك . وتزيد على الموجود فيزداد . وتأخذ الاحلام فتجعل منها عوالم حقيقية جديدة

فاذا كان صحيحاً ان للعلم كما نقول غرضين ساميين الاول البحث عن الحقيقة الطاهرة المجردة عن كل شيء والثاني خدمة البشر ونفعهم وزيادة هنائهم ومدنييتهم فانت افضل الذين ادركوا هذه الحقيقة وعملوا بها . فان اكتشافاتك قد حققت احلام الفلاسفة الذين يعلمون الناس الثقة بنقد العلم وبنون تعليمهم على ثقهم بالعقل والادراك البشري . ولكنك لم تشأ ان تنفع باكتشافاتك فتركت الناس يلقطون امواج الذهب التي كانت تفور من بين يديك .

فيا ايها المعلم العظيم ان الوطن يمجده في هذا اليوم . والعالم المتمدين يحبيك بافواه وسله ووفوده . ولقد قبضت اعمالك على المستقبل واستولت عليه وصار حولك هدوء الاحترام سائداً . حتى انك وانت الآن بيننا ممتلي الجسم قوة وحياة صرت تظهر لنا كأنتك بعيد عنا ومقيم في هدوء التاريخ وعالم الخلود الابدي

(خطبة المسيو برتلو)

ثم جلس الوزير والناس يصفقون استحياساً وتلاه الخطباء من علماء فرنسا والوفود الاوربية فاثنوا على المسيو برتلو اطيب ثناءً ولقبوه ابا الكيمياء وكان التصفيق لهم مستمراً . ولما فرغوا من الخطابة وقف المسيو برتلو ليحييهم ويشكرهم فهتف الحاضرون هتافاً ارتج له المكان وظلوا يهتفون و يصفقون والمسيو برتلو واقفٌ يحني ثأره واولاده حوله ليكون لتأثرهم وبعد ذلك سكنت الضوضاء فالتقى برتلو خطبة هذه خلاصتها :

يا حضرة الرئيس . يا حضرة الوزير . يا رصفائي واصدقائي الاعزاء . وانتم ايها الشبان تلامذتي واصدقائي

لقد تأثرت جداً من هذا الاكرام الذي وجهتموه الي الان . وانا اعلم انكم لاتوجهونه الي لحكم لي فقط بل انكم توجهونه ايضاً الى شيخوختي واعالي الطويلة والخدم القليلة التي قت بها لوطني ولبني جنسي . فودادكم هذا يزيد شيئاً من الزيت على سراج حياتي الذي صار قريباً من الانطفاء في الليل الابدي . وان الانطفاف الذي يجده الشيوخ لدى الهيئة الاجتماعية هو بمثابة رباط يربط الاجيال الحاضرة بالاجيال الماضية والمستقبل

ثم قال ان الفضل في تقدم العلم ولا سيما علم الكيمياء للعلماء الذين تقدموه وهو يُشرك معهم في هذا الفضل العلماء المعاصرين الذين ساعدوه . فلا يجوز اذا ان ينسب الفضل في ذلك لرجل واحد لان العلم صناعة اشتراكية يعمل فيها الخاصة من بني الانسان في كل مكان . ثم استطرد من هذا القول الى ذكر منافع العلم فقال ان القدماء كانوا يعتبرون العلماء قوماً لا شأن لهم غير تسليية الاغنياء بما ينشرونه ويولفونه لهم . اما اليوم فقد صار العلم فائد الانسانية ومنارها الاعلى فلا نثقدم الا به . ويكفي في بيان ذلك مقابلة حالة الشعوب في الزمن الماضي بجالاتها في هذا الزمان من حيث صلاح الحال وقلة الاوهام والجهل . ولذلك صارت الحكومات تساعد العلم ولا سيما المعامل الكيماوية لما يترتب عليها من النفع الاقتصادي والفائدة الصحية العمومية . وبعد ذلك قال : فبناءً على ذلك تغير وجه العالم وصار للشعوب ميل الى الاتفاق والتقرب بعضها من بعض فضلاً عن رغبتها في صلاح حالها وبلوغ آمالها بالطرق العلمية التي يخنطها لها علماؤها

الى ان قال في الختام :

ولذلك عظمت وظيفة العالم في هذا الزمان وهي تعظم كل يوم . ولكن اذا كانت وظيفة العلماء قد عظمت فواجباتهم قد عظمت ايضاً ولا يجب ان ننسى ذلك مطلقاً .

فلنجهر ايها السادة بهذه الحقيقة على رؤوس الاشهاد في هذا المكان الذي هو قصر من قصور العلم الفرنسي ولتقل ان العالم لا يكرم العلماء اليوم ارضاءً لانايتنا ومحبتنا للذات ولكن لانه يعلم ان العالم الذي يستحق هذا الاسم يوقف حياته للخدمة العامة بقطع النظر عن مصلحته الشخصية اي لتحسين احوال الناس بوجه الاحمال من الاغنياء والسعداء حتى المساكين والفقراء والضعفاء . هذا هو الامر الذي احتفل اولو الشأن باكرامه في هذا المكان منذ خمس سنوات حين احتفالهم بباستور وهذا هو الامر الذي حاول صديقي (شابلين) الاعراب عنه بالرسم الذي رسمه على المدالية الجميلة التي سيقدمها لي الآن رئيس الجمهورية . ولا اعلم اذا كنت قد قمت كل القيام بالغرض المرسوم في هذه المدالية ولكي لم آل جهداً في جعل ذلك غاية حياتي من اولها الى آخرها »

وبعد هذا الخطاب جلس برتولو . اما الجمهور فكان يقطع كلامه في اثناء الخطاب عند كل عبارة ويصفق تصفيق الاستحسان ويهتف له هتاف الاكرام . وكان في جملة هذا الجمهور كل ذي شهرة في باريز في العلم والادب والسياسة والرئاسة . ولما جلس برتولو قام الميسو لوبه رئيس الجمهورية ودنا منه فنهض برتولو اكراماً له فقبله الميسو لوبه في وجنتيه وقدم له المدالية الفضية التي وضعنا رسمها في صدر هذا الباب

فنهض حينئذ جميع الحاضرين وهتفوا للعالم هتافاً بلغ العنان

وهذه المدالية من صنع الرسام شابلين المشهور وهي تمثل الميسو برتولو جالساً امام مائدة عليها الآلات الكيمنية وهو يفكر في الموضوع الذي في ذهنه وفوقه فئتان واحدة تمثل « الوطن » وهي تحمل الراية الفرنسية في يمينها واكليلاً من الغار في يسراها تكلل به آلة الكيماوي وواحدة تمثل « الحقيقة » وفي يدها مصباح ساطع يضيء طريق العلم والعلماء وعلى جسمها ستار اخذت نزعزحه عنها كناية عن ظهور الحقائق للناس شيئاً فشيئاً . وتحت هذا الرسم هذه الكتابة

سنة ١٨٥١ — من اجل الوطن والحقيقة — سنة ١٩٠١

وعلى الصفحة الثانية رسم برتولو وتحتته ما ياتي « التركيب الكيماوي . العلم ينير طريق الانسانية »

فيا منيرة طريق الانسانية انيري طريق محبيك وانشارك . يا حاملة المصباح تضيء به الغرب الالفة للشرق منك ومن مصباحك . الى م النفور منه والاعراض عنه اما هو

الذي كان المينغ الاول لنورك وسنائك . واذا كنت تنكرين هذا فقوليني لنا من اين جئت بمصباحك

امن بلاد اوربالما كانت قفارا تملأها اكواخ الصيادين . ام من افطار اميركالما كانت مرجحاً للبرابرة والمتوحشين . هل جئت به من لندن ام باريز . من رومه ام واشنطون . من فينا ام برلين

كلا انك جئت به من منفيس وصور وصيدا وبابل واورشليم واثينا وكريت . انك جئت به من هذا الشرق التعيس الذي تخفين مصباحك عنه الآن وتتركينه في ليل بهيم . فردي لنا يا حاملة المصباح مصباحنا واعيدي بضاعتنا اليها

ولكن ماذا نسمع ؟ اننا نسمعك نقولين : « لا اوجه نور مصباحي اليكم لانني اشفق عليكم . اذ ماذا يحمل بكم يوم تقع امواج نوره على بلادكم وتظهر ما في نفوسكم وما في هيئة اجتماعكم . انظروا الى الجهل السائد في بلادكم في رؤوسكم واذنابكم . انظروا الى الآفات التي تاكل احشاءكم وتشرب دماءكم : استبداد وظلم في الطبقات العالية ودناءة وعبودية في الطبقات الواطئة . انقسام ديني اليم يجعلكم اعداء بعضهم لبعض مع انكم في الاصل اخوة وطن واحد وابناء ارض واحدة . فضلاً عن فقر شامل وشقاء عام واوهام مجبولة بالحلم والدم ونافذة الى العظام . فهل تريدون ان يكشف مصباحي كل هذه الشرور الكامنة في هيبتكم »

كلا يا حبيبتنا حاملة المصباح انك لا تشفقين علينا كما نقولين ولكنك تضحكين منا . اما كان قومك منذ مدة كما نحن الآن . فهل منعتم حالتهم الماضية من ان يصيروا الى الحالة الحاضرة . فلماذا تبشين روح اليأس في نفوسنا ؟ ارفعي مصباحك في وجوهنا ولو بهرنا نوره ونبش عيوبنا وكشف كل شرورنا . فان الصلاح لا ياتي الا بعد ظهور الفساد . واذا لم يكن لمصباحك من فضل على الشرق سوى اعداد بضعة لمناهضة الشرايا كان مصدره وطلب صلاح الحال بالعلم طلباً مجرداً عن كل نفع خصوصي ومصالحة ذاتية اقتداء بعلماء قومك خصوصاً صديقك برتلو الذي تنيرين هنا طريقه — فكفي ذلك لحدوث خطوة كبيرة في سبيل التقدم المطلوب



المقالات

نشر في هذا الباب كل ما يهم مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرائية ما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ المسيح بقلم رنان

(تابع لما قبله)

بعد عودة السيد من اورشليم

ولما عاد السيد من اورشليم كان قد قطع في نفسه كل علاقة بمذهب اليهود واخذ يستعد للعمل العظيم الآتي وهو انشاء ملكوت الله . وكان قد عزم عليه وان ذهب فدى الناس وفداه . ذلك ان ملكوت الله لا يُنشأ من غير مقاومة ومناهضة ولذلك كان لا بد من المقاومة والمناهضة . وكان روح الله فيه يملأه قوة ونشاطاً . وكان الله في نظره اباً لكل الناس وكل واحد عليه ان يدعو الله « اياه » في صلاته . فبهذا التعليم وثب السيد وثبة واحدة عن الحفرة القائمة بين المخلوق والخالق ووصل اليه

وكانت نبوءات الانبياء عن قدوم السيد شائعة بين اليهود ولكن الجامع لم تكن قد احصتها في صفحة واحدة ولذلك كان اليهود يطبقون اقوال الانبياء على الحالة في تلك الايام . اما العجائب فكان في السامرة رجل ساحر يدعى سمعان وهو يصنع شيئاً كثيراً منها . وقد كان صنع العجائب امراً شائعاً في القديم . فان الفلاسفة الاسكندر بين ومنهم بلوتين كانوا يزعمون انهم يصنعون العجائب وقد روى ذلك اونا بوس وبورفيروس . وكان صنع العجائب محسوباً امراً اعتيادياً لان كل رجل فيه روح الله كان في اعتقادهم قادراً على ان يصنع شيئاً منها

وكانت صناعة الطب في المشرق في ذلك الزمان كما هي اليوم (كذا) فان اليهود في

فلسطين كانوا يجهلون هذه الصناعة التي وضعها اليونان منذ خمسة قرون قبل ذلك التاريخ . وكان من الشائع في كل العالم لا في عالم اليهود فقط ان الشياطين تدخل في بعض الناس وتجعلهم يعملون بالرغم عنهم اشياء يكرهونها . ومن ذلك شيطان ورد ذكره في تقاليد الفرس وهو الذي يدخل في النساء ذوات الاميال غير المعتدلة . وقد اخذ اليهود ذلك عنهم وورد ذكر هذا الشيطان في سفر طوبيا . فهذا الشيطان صار سبباً في اثارة نفوس النساء اليهوديات وانشاء المستيريا وغيرها من الامراض العصبية فيها . وكان قد ظهر قبل ذلك باربعة قرون ونصف كتاب لابوقراط ابي الطب موضوعه « العلة المقدسة » يعني المستيريا وفيه وصف اسباب هذه العلة وذكر دوائها . الا ان اليهود في فلسطين كانوا يجهلون صدور هذا الكتاب . وكان في اليهودية في ذلك الزمان كثيرون من المجانين وربما كان ذلك ناشئاً عن شدة الحماس الديني الذي اشعل النفوس . وكان هؤلاء المجانين يأوون الى المناور والتخاريب في الجبال والاودية وكان قليل من الرفق واللين كافيّاً لشفائهم . ولا يزال الناس في سوريا حتى عصرنا هذا يسمون « مجنوناً » كل من كان في افكاره شي من الغرابة (كذا) . وفي اصطلاحاتهم في الحديث قولهم لمن لا يعجبهم رايه : انت مجنون

ملكوت الله

اما مدة بقاء السيد في العمل فان الانجيلي يوحنا يجعلها سنتين او ثلاثاً . ومهما يكن من الامر فانها لا تتجاوز سبع سنوات لان ييلاطس قد عزل قبل عيد الفصح من عام ٣٦ للميلاد . وكان السيد يركز باقترب ملكوت الله . والمراد بذلك علي ما في الانجيل قدوم السيد لدينونة الناس في نهاية العالم . وطريقة ذلك ان يقسم البشر قسمين قسم الصالحين وقسم الاشرار . اما الصالحون فيدخلون الى الاماكن المهيئة المعدة لهم منذ ابتداء العالم وهناك يلبسون النور ويجلسون على مائدة ابراهيم . اما الاشرار فانهم يذهبون الى « جهنم » وجهنم هذه هي وادي في غربي اورشليم . وكان اليهود يوقدون النار اولاً في هذا الوادي ويحرقون بذلك علي سبيل العبادة . ثم صار الوادي مكاناً للافذار والتجاسة

ومهما يكن من هذا الامر فان السيد بنى ملكوت الله وهو يركز تلك الكرازة . وهذا الملكوت الحقيقي هو ملكوت العقل الذي يجعل كل انسان ملكاً وكاهناً معاً والذي كان كحبة الخردل زرعت في الارض فانبتت شجرة عظيمة . هذا الملكوت هو : روح الله

يرفرف على الارض بعد مجيئه . وخطبة السيد على الجبل . وثقوبة الضعفاء بذكر الغبطة والسعادة الابدية . ومحبة الشعب . والميل الى الفقير . واعلاء شان كل ما هو حقير ومتواضع وبسيط وصحيح . وقد تم هذا العلو وسيدوم بعده الى الابد . وكل واحد من البشر مدبون له بافضل ما في نفسه من المبادئ الشريفة

اما مسألة انتهاء العالم واقتراب هذه النهاية فمسألة صفقت لها الانسانية طرباً في ذلك الزمان . فانه اول ما قيل لها ان قد حان اجل كرتك الارضية اقتبلت هذا الخبر بابتسام كالابتسام الذي يقتبل به الاولاد الموت وصارت مسرورة بهذه النهاية سروراً ما بعده سرور . اما العالم فانه كان يزداد تمسكاً بالحياة كلما ازداد ايغلاً فيها ولذلك كان يوم الخلاص الذي كانت تنتظره نفوس الجليليين الطاهرة بشوق وسرور معتبراً من تلك الاجيال الحديدية التي كانت تحشن كلما طالت عليها الحياة كيوم غضب وحرمان

ولكن مع اعتقاد المسيحيين الاولين بقرب انتهاء العالم يومئذ كان فيهم كثيرون يحاربون شرور العالم باسم الانجيل ويطالبون اصلاح الحالة استناداً الى مبادئه . وسيبقى مبدأ « ملكوت الله » اعظم المبادئ المحركة على طالب الإصلاح في كل مكان الى ما شاء الله . اما الاشتراكيون الذين يطلبون اصلاح الارض اليوم فانهم يبقون عاجزين عن انفاذ اصلاحهم ما لم يلجئوا الى افكار المسيح ونسها وعمالها . فانهم يطلبون بناء على مبادئ مادي غليظاً مراً مسخياً وهو جعل جميع الناس سعداء ولذلك لا ينجحون . وانما ينجحون متى عملوا بقواعد المسيح وهي ابتغاء اعلی صورة للكمال في الارض لا خيرات الارض . وهذا المبدأ يوجب على طالبي اصلاح الارض التخلي عنها وعن خيراتها لا الاستيلاء عليها

ومن جهة اخرى فانه ربما كانت كلمة « ملكوت الله » تعزية واي تعزية المذنبين يرون فساد العالم الآن ويعتقدون بحدوث تغيير فيه في مستقبل الزمان . فان الذين لا يقدرّون على الاعتقاد بوجود عنصرين مستقلين في جسم الانسان لان هذا الاعتقاد يناقض علم الفيسيولوجيا بطيب لهم ان يؤملوا بحدوث تغيير عظيم في نهاية العالم وينتظروا في القرون الآتية عالماً صالحاً يكون صلاحه جائزة للبشر على ما احتموه من الشقاء والفساد في حياتهم الماضية . ومن يعلم اذا كان ذلك لا يتم في بضعة ملايين من القرون فتنبه حينئذ في الارض كل المبادئ الصالحة وبصير البشر كالملائكة . ان مليون سنة تمر كساعة تمر . وقد قال القديس بولس « هوذا سرّ اقول لكم . لا نرقد كنا ولكننا كنا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الاخير فانه سيقام فيقام الاموات عديمي فساد ونحن نتغير » (كورنثوس

(الاصحاح ١٥ العدد ٥١ و ٥٢)

فيومئذ ينقسم للصالح من الشرير . يومئذ تسود في الارض انسانية فاضلة كريمة يكون فيها المقام الاول للفضل والفضيلة لا للقوة والمال ويكون فيها ابن الفقير الفاضل حاكماً وصدرًا . يومئذ تظهر صورة السيد اكثر جلاءً ويخجل كل الذين نظروا تلك الصورة المؤلفة من الفقر والتواضع والفضيلة ولم يؤمنوا بها وكل المتكبرين الذين آمنوا بها ولكن انانيتهم وكبرياءهم وطياشتهم منعتهم من العمل باوامرها

روح الانجيل

وكان التلامذة يومئذ لا يكتبون شيئاً من اقوال السيد لان « ملكوت الله » صار قريباً فلا حاجة الى الكتابة . وكان من اجل اوقاتهم وقت الجلوس الى مائدة الطعام . فان السيد كان يحدث كل واحد منهم على المائدة . وكان من عادات اليهود ان ياخذ كبير البيت الخبز ويباركه بسلامة وجيزة ثم يكسره ويقدمه الى كل واحد من الجالسين . وكذلك الخمر . ولا تزال هذه العادة عند الاسرائيليين الى هذه الايام . وقد غالى الاسبينيون في ذلك فجعلوا للمائدة احتفالاً وطقوساً خصوصية . وكان اذا اكل بضعة من الرجال الخبز معاً عد ذلك بمثابة رباط يربطهم بعضهم ببعض بسبب هذا الاشتراك (١) وكان السيد يكسر الخبز على هذا الوجه ويناوله الى تلامذته . وكان يقول لهم انا غداؤكم الروحي لانه سيدهم ومعلمهم . ولما كان يناولهم الخبز والخمر كان يقول لهم هذا جسدي وهذا دمي وكانت هذه المعيشة المبنية على انتظار « ملكوت الله » مما يزيد التلامذة انقطاعاً عن الارض وكراهة للعالم . فكان الميل لاقتناء الملك في الارض يعتبر نقصاً في النفس وكل ما يُبعد الانسان عن السماء يجب ان يُبذّر نبذاً . وكان بعض التلامذة متزوجين الا ان التحميد العازب بعد اتباعه السيد لم يكن يتزوج على الارجح لان العزوبة كانت مفضلة على الزواج . وكان يجب على الذين يدخلون في سلك التلامذة ان يتركوا كل شيء في العالم حتي النفس والاب والام والاخوة والمال ويتبعوا السيد . ومن المبادئ المسيحية : من ضربك على خدك الايمن فادر له الايسر . واذا اعترتك عينك فاقفلها . ودع الموتى

(١) وفي الشرق يقولون اليوم « من اكل خبزاً وملحاً مع انسان وجب عليه ان لا يخونه » وذلك لان هذا الاشتراك يوجب الصداقة والامانة . ومن اقوالهم « تفضل ومالحنا » يدعون به الى مائدة الطعام والصداقة

يدفنون موتاهم وغير ذلك من المبادئ السامية التي هي عبارة عن اعلی صورة للكمال البشري . ولكن سمو هذه المبادئ الكريمة وعلوها كانا لا يخلوان من خطر على المستقبل . فانها تجعل الانجيل كتاباً كريماً بالغاً من الكمال درجة فلما بهتم كثيرون من الناس بالوصول اليها وبناء عليه تبقى تلك المبادئ غير معمول بها حتى من الاكليروس نفسه . وفضلاً عن ذلك فانه اذا رام احد من الناس الرجوع الى الانجيل والعمل بمبادئه وبروحه عند الاكليروس عمله ذا خطر على الناس . واذا قام ملك وكان اكثر الناس تكبراً وتجبراً واشدهم حباً للمصلحة واكثرهم فسوة مثل لويس الرابع عشر مثلاً فانه يجد من الكهنة من يقنعه بالرغم عن الانجيل انه مسيحي لا شك فيه . ولكن كما يقوم اناس كهؤلاء يقوم ايضاً اناس للعمل بمبادئ الانجيل حرفاً يحرف فيضطرون الى المعيشة خارج الهيئة الاجتماعية في الصوامع والديور كما يصنع الرهبان .

بدء مقاومة السيد

ولما بلغت اعمال السيد الى انتيباس والي الجليل رام مشاهدته فرفض السيد ذلك لكرهته الدخول في المسائل السياسية وانصرافه الى تعليم الشعب واستمالته دون سواء . ولكن انتيباس لم يلبث ان سمع من الناس ان السيد هو يوحنا المعمدان وقد بعث الله فاضطرب انتيباس لذلك ورغبة في ان يخرج السيد من ولايته بعث اليه بعض الفريسيين يقولون له ان انتيباس عزم على القاء القبض عليه وقتله كما قتل يوحنا المعمدان فلم يعبأ السيد بهم ولا بمخبتهم . اما انتيباس فانه لما رأى بساطته وكرهته لاثارة خواطر الشعب اطمان باله وعدل عن اضطهاده

اما الفريسيون فانهم كانوا يقاومون السيد ويعارضونه معارضة شديدة فكان يجب مقاومتهم مقاومة شديدة ايضاً . ومن المشهور عن اليهود ان من صفاتهم شدة الخزي في الجدال والمناظرة حتى انه لم يقيم يوماً بين الناس مناظرات شديدة كالمنافرات التي كانت تقوم بينهم . وكانت الشدة ضرورية في هذه الحالة لمقاومة القوة بالقوة . وبما لا يحتاج الى بيان ان لوثيروس ورجال الثورة الفرنسية لو لم يظهروا شدة وعنفاً في اعمالهم لما كانوا قد عملوا شيئاً

وكان هؤلاء الفريسيون قوماً يراعون الظواهر الدينية دون البواطن . وكانوا اقساماً . فمنهم فريق يدعى « نيكيني » وهم الذين يسرون في الشوارع ويمجرون اقدامهم جراً ويصدمون بها الحصى والحجارة . ومنهم فريق يدعى « كيزاي » اي ذوي الجباه الدامية

وهم الذين كانوا يسرون في الشوارع مغمضي العيون. لئلا يقع نظرهم على النساء ولذلك كانوا يصدمون الجدران في مشيهم فتدنى جباههم . ومنهم فريق يدعى « ميدوكيا » وهم الذين كان كل واحد منهم يعيش مطوياً قسمين . ومنهم فريق يدعى « شيكي » اي ذوي المناكب القوية وهم الذين يسرون وظهورهم مخنية كأنهم يحملون عليها اقبال الناموس كلها . ومنهم فريق يدعى « اي عمل يجب عمله لاعمله » وهم الذين كانوا يطلبون قواعد الناموس في كل مكان للعمل بها

ولكن الفريسيين لم يكونوا في الحقيقة يعملون بالقواعد التي تقدمت ولا بقواعد الناموس بل كانوا يظهرون انهم يعملون بها . اما الشعب فكان ينخدع بهم ويصدق اقوالهم . ذلك ان الشعب سهل الانخداع خصوصاً متى كان لروء سائمه مصلحة في خداعه فانه يرى فيهم اموراً جديدة بالحب فيحبها ولكنه لا يرى ما تحت هذه الامور من الحقيقة الهائلة

فبناء على ذلك كان لا بد من قيام النفور بين نفس السيد الكريمة البسيطة ونفوس الفريسيين الجافة اليابسة . فان السيد كان يدعو الى ديانة مبنية على نقاء الباطن وصفاء القلب اما الفريسيون فكانت ديانتهم عاداتهم وطقوسهم الاعتيادية . وكان الفريسي في اعتقادهم رجلاً معصوماً عن الخطاء فاذا جادل كان الحق في جانبه دائماً واذا دخل الى المجالس طلب المجلس الاول واذا مشى في الشوارع راقب الناس اذا كانوا يحيمونه ام لا واذا تصدق بشيء بوق بصدفته تبويقاً . ولقد قام كثيرون من كرام اليهود لمقاومة هولاء الفريسيين منهم يشوع بن سيراخ وغبالايل وانتيكون دي سوكو والرجل الكريم اللطيف الفيلسوف همل وكلهم علموا تعليماً سامياً يكاد يكون انجيلياً . ولكن الفريسيين استطاعوا خنق تعاليمهم وحرموها من يقرأها . وكانت قاعدة مبادئ الفيلسوف همل ان الناموس الحقيقي هو العدالة والحق . وقاعدة مبادئ يشوع بن سيراخ ان الديانة الحقيقية هي عمل الخير في العالم

الا ان مبادئ شامي تغلبت على هذه المبادئ العالية وقوي الفريسيون وانصارهم فكان من نتيجة هذه القوة نشأة كثير من التقاليد والعادات التي غطت الناموس الاصلي فلم يعد ظاهراً . معها . ولا ينكر ان ذلك قد كان مفيداً من جهة حفظ التقاليد اليهودية قروناً عديدة لتكون خيرة الديانة المسيحية ولكن المجامع التي كانت ام تلك التقاليد لم تعد بعد استنفحها الا ام الخطاء والضلال . ولذلك كان قد قضى عليها بالسقوط ان لم يكن

بالاضمحلال . ومع ذلك فقد كان من الظلم ان يُطلب منها حينئذ ان تُنكر ذاتها وتتنازل عن سلطتها من تلقاء نفسها لان ذلك امر لا يصدر عن البشري في هذه الحياة وبناءً على ذلك كانت المقاومة مستمرة بين السيد وبين الرباء الفريسي الرسمي . ومما كان يُضعف حجج الفريسيين ابتعادهم يومئذ عن التوراة ابتعاد المسيحيين عن الانجيل في هذا الزمان . فنشأ عن ذلك في نفوس الفريسيين بغض للسيد لا ينتهي حتى الموت . فانهم تركوا الشعب يسمى يوحنا المعمدان نبياً اذ كان امره صغيراً اما السيد فان روحه كانت تنقض اساس هيئتهم نقضاً ولذلك كان الخلاف بينهم للموت . ومما كان يفقدهم الرشد سهام التهمك الحادة التي كان السيد يرشقهم بها . فان هذه السهام كانت تصيب قلوبهم . واذا قيل من الف هذه الامثال البديعة المملوءة تمكماً قاتلاً وتلك العبارات الغاصّة بسهام حادة تنفذ في لحم المرأين كأنها صنعت من نار ومن علقها في ذبول الفريسيين وجعلهم يجرونها وراءهم منذ ١٨ قرناً الى اليوم . فنجيب ان السيد هو الذي صنعها وعلقها . فيالك من تهكمات هائلة هدمت عالمًا وقتلت امة . ان سقراط وموليير قد رشقا بسهام ولكن سهامهم كانت تحدش الجلد خدشاً . اما هذه السهام فكانت تغوص الى القلوب وتضع النار والياس فيها . فلا ريب ان هذه الضربات ضربات اله

سفره الاخير الى اورشليم

وقد كان السيد يرى الخطر الذي على حياته من الفريسيين ولذلك اقام ١٨ شهراً في الجليل دون ان يسافر الى اورشليم . وكان الفريسيون قد حاولوا جره الى الامور السياسية في الجليل ليتخذوها حجة لدى انتيباس والحكام الرومانيين الا ان السيد تغلب على مكروم هناك . ولكنه كان يرى انه اذا بقي في الجليل لم يستطع ان يتم عمله لان اورشليم مركز كل عمل فراي بالرغم عن الخطر وجوب السفر الى اورشليم فعاد اليها مع تلامذته للتعليم في الهيكل ومناظرة الفريسيين

وقد اختار السيد في اورشليم ثلاثة مواضع للاستراحة فيها من عناء مباحثة الفريسيين . الاول وادي « الجثائية » التي ربما كان معناها معمل الزيت وكان سكان اورشليم يتخذون هذا المكان للتنزه فيه في كل مساء . والموضع الثاني جبل الزيتون وكان السيد يصعد اليه بعد التنزه في الجثائية ويصرف الليل فيه . اما هذا الجبل فهو قائم في شرقي المدينة وهو المكان الوحيد الذي يظهر فيه الخصب والنبات في اورشليم . فقد كان فيه وفي ما جاوره من القرى

كبيت فاجي والجثمانية وبيت عنيا اشجار كثيرة من الزيتون والتين والنخيل . وكان في الجبل ارضتان كبيرتان كانت تعشش فيها طيور الحمام ويسط الباعة تحت اغصانها بضائعهم للبيع والشراء . وقد حفظ اليهود بعد تشتت شملهم تذكاراتين الارزتين في هذه الاماكن كان يقيم السيد وتلامذته . اما الموضوع الثالث الذي كان يتخذة لراحته فهو قرية بيت عنيا . وهذه القرية قائمة على احدى الاكام المشرفة على الاردن والبحر الميت وهي على مسافة ساعة ونصف من اورشليم . وكان السيد يفضل الإقامة في هذه القرية الجميلة على ماسواها وفيها تعرف بمرتا ومريم ولعازر . وكان السيد اذا اقام في الاماكن التي تقدم وصفها نسي شيئاً من عناء المجادلات الشاقة مع الفريسيين المرائين . وكان اذا اشرق الفجر وطاعت الشمس على جبل الزيتون تنثر تبرها الجميل عليه وقف السيد متملاً في تلك المناظر البديعة التي حوله فيسر بها سروراً يحالطه شيء من تذكارات مؤلمة . فالتفت حينئذ الى اورشليم ويخاطبها قائلاً :

« يا اورشليم يا اورشليم . يا قاتلة الانبياء وراجة المرسلين اليها كم مرة اردت ان اضم اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدي »
وليس المقصود بذلك ان الشعب اليهودي في اورشليم لم يكن يقبل تعاليم السيد لانه اغلظ نفساً من رجال الجليل كلا ولكن التعاليم الفريسية الرسمية كانت تضغط على النفوس الى حد انه لم يكن احد من الناس يجترئ على التصريح بذلك . فضلاً عن هذا فان اليهود كانوا يخشون اذا تبعوا السيد ان يقال انهم خضعوا لرجال من الجليل ولا يخفى ان بلاد الجليل كانت بلاداً مكروهة في اورشليم كما تقدم . ومن جهة اخرى فان اتباع السيد كان يفضي الى الطرد من المساجد (المعابد) والحرمات من الحقوق الدينية . وهذا الحرمان يستوجب في الشريعة اليهودية حجز الاملاك وفي ذلك ما فيه من الازالة والحسارة . وزد على ذلك ان الذي كان يخرج من اليهود لم يكن له ان يصير رومانياً بل يبقى بلا حام ولا نصير تحت ضربات سلطة جائرة . وفي ذات يوم جاء اصغر حراس الهيكل الى كهنتهم بعد ان سمعوا احدى عظات السيد واطلعوهم على ما قام في نفوسهم من الشكوك وعن رضى الشعب عن تلك التعاليم فاجابهم كهنتهم « هل رايتم احداً من الرؤساء او من الفريسيين آمن به . ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون »

اما السيد فانه كان يجد في الوعظ وتعليم الشعب في الهيكل . وكانت سلطته آخذة في التعاضل والازدياد والشعب يقبل تعاليمه السامية البسيطة دون ان يظهر التسليم بها

خوفاً من رؤسائه . ففي ذات يوم جاءه الفريسيون بزانية وسالوه بماذا يجب ان تعامل وقد ظنوا انهم بذلك يظهرن ضعف تعاليمه امام الشعب . فاجابهم السيد بذلك الجواب الهائل الذي كان كسهم اخترق الرياء وغاص في قلوبهم . فقد قال لهم « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » ومنذ هذه الكلمة اخمروا له الشر ونووا قتله ليستريحوا من مقاومته . ولا غرو فان الحقى بكرهون العظمة اشد كراهة ولا سيما اذا اقتربت بفصاحة اللسان وبلاغة الجنان وكانت همة الفريسيين مصروفة الى جعل السيد يتداخل في الامور السياسية ليتخذوها حجة عليه لدى اسيادهم الرومانيين كما تقدم . فجاءه بعضهم في ذات يوم مظهراً الحب له وقالوا « يا معلم . نعلم انك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي باحد لانك لا تنظر الى وجوه الناس . فقل لنا ماذا تظن . ايجوز ان تعطي جزية لقيصر ام لا » وكانوا يتوقعون عندهذا السؤال ان يجيب السيد عنه جواباً يوجب تسليمه الى بيلاطس لقتله كما قتل يهوذا الغولوثيني الذي كان يجرّم دفع الجزية للرومانيين كما تقدم . اما السيد فانه اجاب جواباً بديعاً . فانه قال لهم اروني اولاً النقود فاروه ديناراً فسألهم لمن هذه الصورة وهذه الكتابة اللتين على الدينار فاجابوه انها لقيصر . فقال السيد . اذا اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله »

فما اسمى هذه الكلمة في هذا المقام . فان السيد وضع بها اساس الفصل بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية وبنى بكلماتها دعائم مستقبل الديانة المسيحية وكانت بلاغته الالهية تحضره كلما رام محاربة الرياء والمرائين كما تدل على ذلك الاقوال الآتية التي فاه بها في الهيكل . وجدير بالناس - في كل مكان ان يتأملوا هذه الحكم الرائعة . وهي

« على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فاعملوا حسب اقوالهم ولكن لا تعملوا حسب اعمالهم لانهم يقولون ولا يفعلون . فانهم يجزمون احمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على اكثاف الناس وهم لا يريدون ان يحركوها باصبعهم . » وهم يعملون كل اعمالهم لكي تنظرهم الناس فيعترفون عصائهم ويعظمون اهداب ثيابهم ويحبون المتكبر الاول في الولاة والمجالس الاولى في المجامع والتحتيات في الاسواق وان يدعوم الناس سيدي سيدي . فالويل لهم

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم اخذتم مفتاح المعرفة ولم تستعملوه الا لاغلاق ملكوت السماوات فلا تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون . ويل لكم يا من تاكلون بيوت الارامل باطالة صلواتكم ولذلك تكون دينوتكم على قدر ذلك . ويل لكم

يا من تطوفون البحر والبر لتضمو اليكم رجلاً واحداً ومتى حصلتم عليه تصنعونه ابناً لجهنم . ويل لكم لانكم مثل القبور المستورة والذين يمشون عليها لا يعلمون
 « ويل لكم ايها المراءون والعلميان لانكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتتركون افضل ما في الناموس اي الحق والرحمة والايمان . فقد كان ينبغي ان تعملوا هذه ولا تتركوا تلك . ويل لكم ايها القادة والعلميان الذين يصفون الكاس عن البعوضة حالة كونهم يملعون الجمل
 « ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تنقون خارج الكاس والصفحة وهما من داخل مملوءان سرقة وشراة . ايها الفريسي الاعمى (١) نقي اولاً داخل الصفحة لكي يكون خارجها ايضاً نقياً

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام اموات وكل نجاسة . انتم من خارج تظهرون للناس ابراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياءً واثماً

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تبنون قبور الانبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولون لو كنا في ايام آبائنا لما شاركناهم في دم الانبياء . فانتم اذا تشهدون على انفسكم بانكم ابنا قتل الانبياء . فاقموا اذا عمل آبائكم فقد جاء في حكمة الله « ها انا ارسل اليكم انبياء وحكماء وعلماء فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة لكي يقع عليكم كل دم زكي سفك على الارض من دم هابيل الصديق الى دم ذكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح . الحق اقول لكم ان هذا كله يقع على هذا الجيل »

واشد ما كان يغيظ الفريسيين في هذه التعاليم امران . الاول ان ملكوت الله آخذ في الانتقال من اليهود الى باقي الامم لان اليهود يضطهدون ويقتلون الانبياء والرسل الذين جاءوا ليرشدوهم اليه . والامر الثاني دعوة السيد الفقراء والصغار الى احتلال محل الكبراء لتأييد ملكوت الله . وقد كان يقول انه جاء الى هذا العالم ليفتح عيون الذين لا يبصرون ويعمي الذين يبصرون (يوحنا الاصحاح ٩ العدد ٣٩) ولكنه في ذات يوم بدرت من فمه هذه العبارة عن الهيكل « انني اهدم هذا الهيكل الذي بنته يد الانسان وابني في ثلاثة ايام هيكلآ آخر غير مصنوع بالايادي » فتمسك الفريسيون بهذه الكلمة لانهم اعتبروها

(١) ربما كان في كلمة « الاعمى » اشارة الى فريق الفريسيين ذوي الجباه الدامية

الذين ورد ذكرهم في الصفحة ٣٠٦ السطر ١

تجديفًا على الهيكل واتخذوها حجة لشكواه الى الحكومة . وكانت حكومة الرومانيين توجب احترام الديانة اليهودية وتنفيذ القرارات التي يصدرها رؤساؤها

مساعي اعداء السيد

وقد صرف السيد فصل الخريف وقسمًا من الشتاء في ذلك العام في اورشليم وكان البرد شديدًا فيها . وكانت اقامته في رواق سليمان في الهيكل . وبعد شهر ديسمبر من ذلك العام ساح سياحة في بلاد بيريا في عبر الاردن حيث كان يوحنا يعمد . فوجد سرورًا وراحة في هذه السياحة ولا سيما في مدينة اريحا . وكانت هذه المدينة قائمة في طرف طريق عمومية كبرى وفيها كثير من الحدائق والحقول الخصيبة ولذلك اقام الرومانيون فيها جمرًا كبيرًا . وكان رئيس هذا الجمر رجلاً غنيًا وهو العشار زكا فاحب مشاهدة السيد . وبما انه كان قصير القامة صعد الى حميزة ليراه منها في مروره . ولما درى السيد به رام النزول في بيته دون ان يعبأ بكرهه اليهود للعشارين كما تقدم . اما واحة اريحا فقد كانت بقعة من اجمل بقاع سوريا يومئذ وقد وصفها يوسيفوس معجبًا بمخضها كما اعجب ببلاد الجليل ولقبها « البلاد السماوية »

وبعد ان زار السيد البلاد التي عمد فيها يوحنا المعمدان والتي كان فيها مبدأ تعليمه عاد الى بيت عنيا حيث كانت تطيب له الإقامة وبعد عجبوبة لعازر عاد الى اورشليم اما الفريسيون فانهم كانوا في اثناء ذلك يتباحثون في شأنه . وقد جمع رؤساء الكهنة في شهر فبراير او في اوائل مارس من ذلك العام مجمعًا وطرحوا فيه هذه المسألة « هل في الامكان بقاء الديانة اليهودية اذا بقي يسوع حيًا » وحياتًا قد يكون في السؤال جواب ولذلك لم يلبث رئيس الكهنة ان قال « لا باس ان يموت واحد لتقضي الامة كلها »

وكان رئيس الكهنة يومئذ يوسف قيافا وقد رفاقه الى هذا المنصب الحاكم الروماني فالاريوس كراتوس ولذلك كان مخلصًا للرومانيين . وقد ثبت هذا الرجل في رئاسة الكهنة من عام ٢٥ ليلاد الى عام ٣٦ . اما سلطة هذا الرئيس فقد كانت اسمية على الارجح . لانه كان فوقه رجل يدعى حنايا او اناس وهو شيخ كان رئيسًا للكهنة ثم فصل وتزوج قيافا بابنة له . ولكنه مع انفصاله عن رئاسة الكهنة بقيت له سلطة كبرى عليها وبقي الشعب يناديه « رئيس الكهنة » وكانوا يستشيرونه في كل المسائل الهامة . وما زاد سلطته ان رئاسة الكهنة بقيت في أسرته مدة ٥٠ سنة وكان قيافا الرئيس الحقيقي صهرًا له .

ولذلك كان يرد اسمها معاً في هذه الحوادث وكثيراً ما كان يرد اسم العلم مقدماً على اسم الصهر . وقد ذكر يوسفوس ان هذه الاسرة كانت مشهورة بالقسوة في الاحكام ومما يجدر ذكره ان الذي حكم برجم يعقوب اخي السيد هو من ابنائها . وبناء على ذلك تكون تبعة الحوادث القادمة على حنانيا لا على قيافا . وهو الذي يجب ان يحمل على عاتقه لعنة الانسانية اكثر من بيلاطس وقيافا

وكان جمهور الاكليروس اليهودي راغباً في وضع حد لهياج الشعب وثورة الافكار . ذلك انهم توقعوا من وراء هذا الهياج استئصال سلطة الرومانيين في بلادهم ومضى استئصال تلك السلطة هدمت الهيكل وقطعت رزقهم . ولا ريب ان الاسباب التي دعت الى خراب الهيكل بعد مرور ٣٧ سنة على هذا التاريخ لا علاقة لها بالامر الذي تقدم ولكن خوف الفريسيين من انقلاب الاحوال كان عظيماً . ولوقبل اليهود يومئذ تعاليم السيد لسقوط الهيكل وسقطت امتهم معه . ولذلك قال حنان وقيافا « خير ان يموت واحد من ان تموت الامة كلها » ولكن هذا الحكم فظيع وهائل . ويسوئنا ان نقول ان جميع الاحزاب المحافظة التي تسمى نفسها « حزب النظام والامن العام » تحكم احكاماً كهذا الحكم . فانها تعتبر ان اكبر واجبات الحكومة منع تاثر الشعب وهياجه بكل الطرق ولذلك لا يقوم احد قادر على الحركة الا وثقف في وجهه ولو اضفى الامر الى سفك دمه . وهي بذلك تشهر حرباً على كل ذي اقدام وكل ذي فكر وتجهل ان هذا الفكر لا بد ان ينصر . ومما لا يحتاج الى بيان ان الحركة السامية التي كان يديرها السيد كانت حركة روحية لا علاقة لها بالسلطة الزمنية ومع ذلك فقد كانت هذه الحركة كافية لاثارة اوهام الرجال الذين يسمون انفسهم رجال النظام والهدوء لانها حركة . ولذلك صنعوا ما صنعوه

وكان هؤلاء الرؤساء قد قضوا على السيد بالموت منذ شهر فبراير ومارس ولكن السيد كان قد سافر مع تلامذته الى مدينة تدعى افراين او افرون وهي بلدة على حدود البرية في جهة بيتل على مسافة يوم من اورشليم . وقد صرف السيد في هذه القرية بضعة اسابيع مع تلامذته لعل الزوبعة في اورشليم تسكن قليلاً . ولكن الزوبعة لم تسكن لان الرؤساء اصدروا الامر بالقاء القبض على السيد حينئذ يشاهد في الهيكل . ذلك ان عيد الفصح اليهودي كان قريباً وكانوا يعلمون ان السيد سيصرفه في اورشليم

(سناني البقية وفيها الخاتمة)

عبرة لاغنياء الشرق والغرب

* الفريد نوبل مخترع الديناميت وجوائزه *

(غني بوصي بجميع ماله للعلماء)

سبق النزاع قائماً بين الاغنياء وغير الاغنياء الى ما شاء الله . فغير الاغنياء يقولون « ان الاغنياء يجمعون الاموال بوسائل شريفة وغير شريفة واحياناً يسلكون اليها كل سبيل ثم لما يجتمع منها لديهم ما يكفيهم ويكفي اولادهم واولاد اولادهم بعدهم الى آخر العمر ينقلبون على الهيئة التي جمعوا تلك الاموال منها ويعاملون بني جنسهم بالكبرياء والغلاظة والدناءة بدلاً من ان يشكروهم على جهلهم ويحمدوا الهيئة الاجتماعية على تراخيها لانها تركت اناساً مثلهم يجمعون ما جمعوا » وبعض الاشتراكيين في اوربا قد تطرفوا فقالوا بوجوب فحص دفاتر كل الاغنياء لمعرفة مصادر ثروتهم واسترداد كل ما كسبه منها بطرق غير مشروعة . غير ان بعضاً من الساسة طرفوا في هذا الشأن باباً آخر معقولاً . فان البرلمان الفرنسي قرر منذ بضعة اشهر نظاماً جديداً فخواه ان الاب الغني متى مات ورث منه ابنه مليون فرنك وما زاد على هذا المليون من التركة تستولي الحكومة على نصفه او ثلثيه وتعطي الباقي للوارث . فاذا كانت ثروة الاب مائة الف جنيه مثلاً اخذ ابنه قبل كل شيء مليون فرنك منها اي ٤٠ الف جنيه والستون الف جنيه الباقية تقسم مناصفة بينه وبين خزانة الحكومة . اما اذا كانت ثروة الاب لا تزيد على مليون فرنك فان الحكومة لا تمد يدها اليها . — ولقد وافق اعضاء مجلس النواب على هذا النظام بعضهم لنكابة اغنياء الاسرائيليين في فرنسا وبعضهم لمقاومة الحكومة لانها كانت تنكره . والراجح ان مجلس الشيوخ سيعترض عليه ويرفضه

واما الاغنياء فانهم يردون على غير الاغنياء بقولهم « هل جئنا بالاموال من بيوت آبائكم حتى تحسدونا عليها . ام وجدناها على الطريق غنيمة باردة . الا تعملون اننا نقامي في جمعها عرق القربة ونصرف العمر ونحن نطلبها ونركض وراءها . فما الذي يمنكم من ان نفتقدوا بنا ونصنعوا صنعنا »

ولا يخفى ان في كل قول من هذين القولين شيئاً مقبولاً معقولاً . ولا نظن احداً من الناس ينكر على الاغنياء حق التصرف المطلق في اموالهم سواء كانوا جمعوها بطرق شريفة

او غير شريفة . فلهم ان يبدلوا منها ولم ان يمنعوها . ولكننا ايضا لا نظن احداً 'ينكر على الناس اظهار استيائهم من الاغنياء اذا كانوا لا يخصصون جزءاً من النعمة التي اخذوها من الهيئة لمساعدة تلك الهيئة وهو ما يسميه رجال الدين الواجب الديني و يسميه الفلاسفة الواجب الادبي . وسبق هذا النزاع بين الاغنياء وغير الاغنياء حتى يدرك اولئك هذا الواجب .

والظاهر ان اغنياء الغرب اكثر استعداداً لادراك هذا الواجب من اغنياء الشرق ولا غرو فان الغرب اسبق من الشرق في كل الامور . فان اغنياء اميركا قد بنوا في تلك الافطار اهرام الكليات والكتائب والحدائق العمومية . وهباتهم تمطر على الحكومة والجمهور والعلماء والكتائب الذين هم خدمة الجمهور احياناً كوابل واحياناً كطل . واما اغنياء اوربا فانهم مقصرون عنهم ولكنهم اخذوا ينتهبون لذلك . وآخر ما روي عنهم بهذا الشأن وصية الفرد نوبل الذي اوصى لعلماء الارض بثروته البالغة مليوني جنيه ودخلها السنوي . ٥٠ الف جنيه توزع في كل عام على النابغين من العلماء مقسومة الى خمس جوائز . وبما انه سيدور في كل عام ذكر هذه الجوائز راينا من الفائدة نشر ترجمة الرجل وتفصيل جوائزه وذكر العلماء الذين نالوها في هذا العام . وبينما كنا نفكر في ذلك وردتنا الترجمة الاتية فاكتفينا بها

الفريد نوبل وجوائزه السنوية

بقلم جناب الاديب الياس افندي خليل عيسوي

كثير تحدث الناس بامر جوائز نوبل وتشوق كثير من لمعرفة هذا الرجل الذي وهب كل ما ملك يده لمساعدة العلم . فرأيت ان اوافي قراء « الجامعة » بتاريخ حياته معتمداً على مجلة المجالات الانكليزية

ترجمته

ولد الفرد نوبل في مدينة استوكهلم فاعدة البلاد الاسوجية في ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٣٣ . وورث الجد والاقدام عن ابيه عمانوئيل نوبل الذي كان من اشهر رجال عصره . وكان سبب شهرة ابيه انشاءه في روسيا معملاً لبناء سفن التوربيد ربح منه ارباحاً طائلة ثم قدومه بعد حرب القرم الى استوكهلم مسقط راسه حيث وجه كل اهتمامه الى اختراع المواد المتفجرة . وكان البارود الاعتيادي هو المادة المتفجرة لوحيدة المستعملة بين الناس . ومع ان النيتروغلسرين (مركب من ملح الغليسرين والحامض

النيتريك) كان قد اخترع في فرنسا قبل عدة سنوات لكن الناس كانوا يتخوفون منه لعدد حوادث انتجاره . فجعل نوبل يسعى في تحسين تلك المادة ومنع انفجارها فنجح بعض النجاح بين سنة ٦١ و ٦٢ . ثم عهد بالعمل الى ابنه الاكبر صاحب الترجمة فابتدأ اذ ذاك الفرد نوبل دوره المهم في تاريخ المنفجرات . الا انه كان يرى ان مادة النيتروغليسرين كانت لا تزال سريعة الانفجار والفتك بالارواح في معمله وذلك مما هيئع الراي العام على هذه المادة فعمد الى تحسينها بحيث نقل اخطارها فتم له ذلك في عام ١٨٦٧ واعلن للناس انه توفى الى اختراع « الديناميت » بمزج مركبه الاول مع مادة رملية مركبة من قشور حيويات صغيرة تدعى الانفيوزوريا . فجرب كثيرون هذه المادة الجديدة فتحققوا قلة خطرها ورأوا ان الحرارة والرطوبة لا تفعل لها فيها . فربح منها مخترعها مالا وافرا . ولم يكتف نوبل باختراع الديناميت وصنعه في معاملته بل كان يتقن البارود بلا دخان ويصنع المدافع ويستغل بالاشتراك مع احد اخوته في تصفية زيت البترول في ماكو بالقوقاس . وقد بلغ عدد الاعمال عنده في العشر سنين الاخيرة من حياته ١٢٠٠٠ عامل ولم يحدث في كل مدة شغله ادنى اعصاب او شكوى منهم وهذا يدل على حسن معاملته لهم

وصرف نوبل عدة اعوام في باريس ثم انتقل منها الى سان ريمو فبنى لنفسه « عشا » جميلا فيها . وبقي عازبا طول حياته جاريا على قول القائلين بان ارتباط المرء بالعائلة يشبط همته ويضعف عزيمته ويقلل نفعه للمجتمع الانساني . وقد توفي في سنة ١٨٩٦ وهو في الثالثة والستين من العمر و آخر ما عمله في حياته مساعدة العلم هو دفعه نصف نفقات الرحالة الاسوجي اندريا الذي قصد القطب الشمالي راكباً منطاداً فلقى حتفه في تلك الاصقاع المتجمدة

الثروة والارث

وكان شغل نوبل الوحيد في اواخر سني حياته كما هو شغل من كان غنيا بدون عقب مثل سسل رودس وكارنيجي — تدبير طرق يصرف بها الاموال التي جمعها في حياته — وتقدر بليون في جنيه — بحيث تعود بفوائد عظيما للجنس البشري . وكان يكره انتقال المال بالارث لافرائه وكثيرا ما كان يقول لهم « لا تتركوا على اموالي فانها سوف تذهب اغنيكم بعد وفاتي » وقال يوما لاثنتين من اخص اصدقائه : « علمتني التجارب ان الثروة التي يثالها الانسان بالارث لا تجلب له السعادة الحقيقية وتكون واسطة لامانة كل قواه العقلية . واني انصح لكل غني بان لا يترك لافرائه سوى النزر اليسير من ماله بحيث

يكفيهم في بدء حياتهم لتدبير اشغال يتعيشون منها والا فتكون ثروته قد امانت استقلاهم الذاتي الذي يحصلونه بمجدهم “
وقال ايضا لاحد معذنيه ” انني لا اريد ان اترك شيئا من مالي لمن يقدر على الشغل فاعوده على البطالة والكسل ولكني اهب منه بكل سرور كل من يسعى في ترقية البشر ولا يكون ينقصه غير المال “

تقسيم الجوائز وتوزيعها

وعلى هذه القاعدة الشريفة كتب الفرد نوبل وصيته الآتية
نقسم فائدة اموالي الى خمسة اسهم متساوية توزع سنويا فيعطى سهم منها في كل عام لاعظم مكتشف او مخترع في الطبيعيات . وسهم لمن يخترع اعظم اختراع في الكيمياء او يفوق على اقرانه فيها في ذلك العام . وسهم للمجيد او المكتشف في الطب والفيسيولوجيا . وسهم لمؤلف افضل كتاب ادبي فلسفي . وسهم لمن يكون اكثر سعيًا في تأييد السلم العام وابطال الحروب او تخفيف شرورها

اما توزيع هذه الجوائز فيكون كما يأتي

تعطى اكاذمية العلوم الاسوجية الجائزة الاولى والثانية . وتعطى كلية كارولبن في استوكهلم الجائزة الثالثة واكاذمية ستوكهلم الرابعة واما الجائزة الخامسة فتحكمها لجنة مؤلفة من خمسة اعضاء ينتخبهم البرلمان النرويجي . ولا اخصص جوائز بامة من الامم اوبدين من الادبان لكي يعلم الجميع ان العلم الصحيح لا تغيره الظواهر ورغبة في ان لا ينالها الا المستحق

والذي حدا بنوبل لان يكتب هذه الوصية هو ما شاهده في مدة حياته من ان مجازاة العلم قليلة للغاية وان اكثر العلماء والمخترعين يعيشون ويموتون فقراء فلا يستفيدون من اختراعاتهم شيئا وتذهب كل الارباح الى جيوب اصحاب المعامل . وقد خصص الجائزة الاولى والثانية بالطبيعة والكيمياء لسفنه هذين النوعين ولانها مورد ثروته وخصص الثالثة بالطب لانه كان يحب باستور محبة شديدة وجعل الجائزة الرابعة للادب والفلسفة لانه اطلع في آخر حياته بمطالعة الشعر وكتب الفلسفة والادب اما الجائزة الخامسة فقد جعلها للسلم . ومن الغريب ان مخترع الديناميت وصاحب معمل المدافع والمذخرات يطلب السلم . وقد ظن البعض ان ضميره وبجه على اختراعاته الجهنمية فجعل الجائزة الخامسة لكي يتخلص من وخز الضمير ولكن هذا الظن في غير محله لان نوبل كان يعتقد انه كلما زادت معدات

الحرب خطراً قل عدد الحروب

وربما كانت تغيرت الوصية لو قام اقرباؤه
 يطالبون بالمال ولكن ابن اخيه لم يشأ
 مخالفة وصية عمه . اما التركية فمنها نقود محفوظة
 في بنوك انكلترا وفرنسا واطاليا وروسيا
 واسوج ونروج ومنها اراض واسعة في فرنسا
 واطاليا ونروج . ويقدر الدخل السنوي
 بخمسين الف جنيه يُصرف منها ١٠ آلاف
 جنيه نفقات فيبقى اربعون الف جنيه فيخص كل
 جائزة ٨ الاف جنيه . ويجب في توزيع الجوائز
 ان تهدي لاكثر اولئك العلماء اجادة في
 خلال السنة وبعطي مستحقو الجائزة علاوة
 عن المال شهادة ومداية ذهبية عليها رسم الفرد
 نوبل صاحب هذه الجوائز وكان موعد تفريق
 الجوائز للمرة الاولى في ١٠ ديسمبر الجاري» اه



* الفريد نوبل واضع الجوائز *

* العلماء الذين نالوا هذه الجوائز في هذا العام * نقول وفي ١٠ ديسمبر الجاري اجتمعت
 الاكاديميات التي تقدم ذكرها والبرلمان الاسوي باحتفال عظيم حضره جلالة الملك
 والملكة وولي العهد ووزعوا هذه الجوائز بالاقتراع . فنال العالم فان توف الالماني جائزة
 الكيمياء والعالم برهن جائزة الطب والعالم رتيجن جائزة الطبيعيات والمسيو سولي بريدوم
 الشاعر الفرنسي جائزة الادب والفلسفة . واما جائزة السلم فقد قسمت بين المسيو فردريك
 بامي الفرنسي والمسيو دريان السويسري . وكل جائزة من هذه الجوائز تبلغ قيمتها ثمانية
 الاف جنيه كما تقدم

فردريك بامي — اما المسيو فردريك بامي الذي نال نصف جائزة السلم فان الناس
 بلقبونه في فرنسا رسول السلام وهو شيخ قطع مراحل العمر في دعوة الناس الى الزامية
 التحكيم لفصل المشاكل التي تقوم بينهم . فانه لا يسمع بخلاف بين الدول حتى يمد يده

ويرفع صوته . وقد تدخل بين وزارتي الحرب في فرنسا والمانيا قبل اعلان الحرب - في سنة ١٨٧٠ لمنع حدوثها فلم ينجح . ورام مقابلة بسمارك فاعتذر عليه ذلك . وبعد هذه الحرب وقعت مشاكل جديدة بين فرنسا والمانيا وكادت تحدث حرب ثانية لهماج افكار الشعب الفرنسي فزار المسيو بامي ادارات الجرائد الفرنسية ليحعلها على تسكين هياج الشعب فاجابه يومئذ مدير جريدة الطان اننا قد فقدنا كل سلطة على الافكار فقال له جربوا ذلك فجربوا ونجحوا في اخماد الهياج . وهكذا زال سبب الحرب

ولما شبت حرب الترانسفال كتب المسيو فردريك بامي كتاباً الى المرحومة فيكتوريا ملكة الانكليز يقول لها فيه انه على ثقة بان الملكة تكره هذه الحرب وان وزراءها اجبروها عليها ولذلك فهو ينصح لها ان تتنازل عن الملك ولا تلتخط ملكها بالدماء لعله يكون في ذلك تنبيه للشعب الانكليزي من سباته . فلم يرد جواب هذا الكتاب وبالجملة فان المسيو بامي رسول التحكيم في العالم الآن يدعو اليه كل المتخالفين . وهو رئيس لجنة الزامية التحكيم في باريز . ولهذه اللجنة فروع في بلاد اخرى

المسيو دريان — اما المسيو دريان الذي نال النصف الثاني من جائزة السلم فهو الرجل الكريم الذي انشأ جمعية الصليب الاحمر لمساعدة المرضى والجرحى في ساحة الحرب . وسبب ذلك ان المسيو دريان حضر واقعة سولفرينو بين الفرنسيين والنمساويين في حرب تحرير ايطاليا فهالته حالة الجرحى والقَتلى في ساحة الحرب . وكان عدد هؤلاء في هذه الواقعة ٤٠ الف جندي . فعاد الى اوربا وكتب سفرًا عنوانه « تذكّار سولفرينو » وصف فيه تلك الحالة الهائلة وصفًا مؤثرًا . ثم طاف اوربا كلها يدعو الانسان الى الرفق بالانسان في ساحة القتال . فقابل الملوك والعظماء وكتاب الجرائد واخذ يحرك الهمم حتى تحركت فعقدت الدول في سنة ١٨٦٣ مؤتمرًا في جنيف قررت فيه شروطًا كثيرة في غاية الرفق والانسانية . وهو مؤتمر جنيف المشهور . ومن جملة هذه الشروط اعتبار الجرحى والمرضى واطباء جمعية الصليب الاحمر في ساحة القتال مسلمين لا محاربين اي على الحياد مع اي فريق كانوا . وكان دريان قد اتفق كل ثروته في تاسيس جمعيات الصليب الاحمر حتى افقر . ولولم يُمنح جائزة نوبل الآن لانت شيخًا فقيرًا منسيًا من هذه الانسانية التي وهبها كل ماله وخدمها انفع خدمة

فان توف — وفان توف حائز جائزة الكيمياء رجل الماني اصله من هولانده وهو عالم

كجاوي مشهور ولكنه ليس بشهرة برنلو . وقد اشتهر هذا العالم باكتشاف كان له دوي شديد في عالم العلماء وهو اثبات ان الفحم والتبلورات مؤلفة من دقائق كل واحدة منها جسم مستقل بنفسه وبتركيبه وهندسته . ولقد بنت مدينة امستردام في عام ١٨٩١ لفان توف معملاً ومنزلاً وتعهدت له بكل ما يحتاج اليه لتصرفه عن الذهاب الى مدينة ليزيج التي كانت تستدعيه ولكن مدينة برلين قويت عليها وبنت له معملاً عظيماً يشتغل فيه حيناً يريد وجعلته استاذاً في احدى مدارسها العليا يلقي فيها الدروس على ارادته غير مقيد بزمان . وهو الآن مقيم فيها هنياً البال

سولي بريدوم — اما الميسو سولي بريدوم حائز جائزة الادب الكتابي والفلسفة فهو شاعر مشهور بسمو الافكار وعضو من اعضاء الاكاديمية الفرنسية . ولما ورد الخبر بنيله جائزة الادب تواردت عليه الرسائل من كل جهات فرنسا . قال الميسو بريدوم لاحد محدثيه « واصحاب هذه الرسائل هم من رصفائي الشعراء ولا سيما المبتدئين منهم وكلهم يطلبون فيها مساعدات تمكنهم من اتمام دروسهم . وقد بلغ الى الآن قيمة المطلوب مني اضعاف اضعاف الجائزة . منهم واحد يقول انه يكتفي مني بمائة فرنك في كل عام اعينها له ليطالع بها اشهر المؤلفات الفرنسية » فسأله محدثه فاذا عازمت ان تصنع بالجائزة . فاجاب اني سابدل جهدي في مساعدة المبتدئين من الكتاب ولا سيما رصفائي الشعراء لاطهار مواهبهم وتمهيد الطريق امامهم

رنتجن — اما رنتجن حائز جائزة الطبيعيات فهو عالم طبيعي الماني مشهور باكتشافه المعروف باشعة رنتجن . وقد اكتشف هذا الاكتشاف في عام ١٨٩٥ فكان له طنين في كل البلاد . وبواسطة هذه الاشعة يستطيع الجراح ان ينظر في داخل جسم الانسان كما ينظر في صندوق يفتحه . بل ان هذه الاشعة صارت تغني عن فتح الصناديق في الجمارك لان الناظر بواسطتها ينظر ما في الصندوق دون فتحه . وسن رنتجن اليوم ٥٦ عاماً وقد ولد في لينب من اعمال بروسيا

هذا وسنسمع دائماً في شهر ديسمبر من كل عام بجوائز نوبل واسماء الذين ينالونها من العلماء . ولكن كثيرين يرون ان التوزيع الاول دل على ان الموزعين لا يوزعونها على مستحقها . فان الكونت تولستوي والميسو برنلو والورد سبنسر والورد كلفن والدكتور كوخ والدكتور رولم ينالوا شيئاً منها مع انهم اشهر من الذين نالوها . اما تولستوي فانه نال ثلاثة اصوات

على جائزة الادب الكتاني والفلسفة التي نالها المسيو سولي بريدوم فكتب اليه جمهور من كتاب الاسوجيين وعلمائهم كتاباً يقولون فيه « انهم يعتبرونه شيخ الفلسفة والادب الكتاني في هذا الزمان وان لم ينل الجائزة »

هذه جوائز العلماء في الغرب وهذا قدرهم في تلك البلاد . اما في الشرق عندنا فانه يظهر ان جوائز ارباب العلم لا تكون الا من انفسهم . لانه لما قيل انه قد عُين مائتاً جنيه لمن يؤلف احسن كتاب في تاريخ مصر سألنا فوجدنا ان هذا التعيين من ادارة رصيفتنا جريدة المؤيد الغراء

الحرارة في جوف الارض

✽ قياس فعلي جديد ✽

يقول العلماء ان في جوف الارض حرارة شديدة تصهر المواد التي فيها ولكنهم لم يختبروا هذا القول قبل الآن اختباراً بنفي كل ريب ويعين درجات الحرارة المذكورة . وقد نقلت المجلات العلمية الواردة في هذا الاسبوع ان حكومة بروسيا قد قامت بهذا الامرخير فيام لفصل الخلاف بين العلماء . وتفصيل ذلك انها بدأت منذ عام ١٨٩٣ في حفر ثقب في مدينة باوشوويتز قرب رايبور في بروسيا وقد ظل الحافرون يحفرون بتأن وصناعة حتى هذا العام فبلغوا الى عمق ٢٠٠٤ امتار في جوف الارض وهو اعظم ثقب حفره الحافرون الى اليوم . اما الامر الذي اكتشفوه في هذا الحفر فهو ان الحرارة في جوف الارض تزداد كلما ازداد الحفر . وقد قاسوا معدل هذه الزيادة فبلغت درجة واحدة من مقياس سنتيغراد في كل ٣٣ متراً و ١٠ سنتيمترات . وقد بلغت الحرارة عند فوهة الثقب على سطح الارض ٦ درجات وبلغت في قعر الثقب في جوف الارض ٦٠ درجة فتكون الحرارة قد زادت ٥٤ درجة . اما استدارة هذا الثقب فهي ٨٠ ميليمتراً

وقد اختلفت آراء العلماء في سبب هذه الحرارة لاختلافهم في سبب نشأة الارض . فمنهم من يقول ان الحرارة في جوف الارض باقية من حين تكون هذه الكرة بانفصالها عن الكتلة الشمسية . ومنهم من يقول غير ذلك . والله اعلم

بولونيا والترانسفال

* حديث حديث يذكر بالحديث القديم *

بولونيا اخت الترانسفال في الحزن . نشأة بولونيا وتاريخها . اسباب هلاكها . ثوراتها
وبسالة ابنائها . دائرة الترانسفال والدوران فيها . الامل في الحرية
عند الشعوب المستعبدة

بولونيا والترانسفال . او الترانسفال وبولونيا : من جمع هاتين الكلمتين في سطر واحد
وهاج شجناً قديماً في نفس الانسانية . من اعاد ذكرى تلك الدولة البولونية التبعية التي
قتلتها بروسيا والنمسا وروسيا منذ مائة عام كما يقتل الجيش الانكليزي جمهورية الترانسفال
في هذه الاعوام — لقد هاج هذا الشجن واعاد تلك الذكرى المؤلة اطفال صغار من نسل
تلك الامة ستموا من احناء الاعناق تحت نير الاستعباد السياسي فرفعوا رؤوسهم اللطيفة
الصغيرة يمنجون برفعها على حقهم المسلوب وحریتهم المقتولة . وقبل تفصيل ذلك يجدر بنا
ان ناتي على شيء من تاريخ بولونيا وتفصيل اقتسامها

* بولونيا وقتلها *

بولونيا دولة قديمة كانت واقعة بين روسيا والنمسا وبروسيا . واسمها مشتق من كلمة
« بولاك » وهي في السلافية « السهل » لكثرة السهول فيها . اما اصل سكانها فهم من
السلاف ايضاً وكانوا في بدء امرهم منفردين قبائل قبائل كالعرب قبل الاسلام وهم يعيشون
في شمالي اوربا حتى جبل الالب . واما اسماء قبائلهم فمنها المازوفيون والكروباتيون
والبورموريون والسيلزيون والبولونيون . وهذه القبيلة الاخيرة هي التي اول ما خطر لها
انشاء مملكة بتوحيد القبائل السلافية كلها . ففكر الجامعة السلافية اذا فكر بولوني
لا روسي

وكان عدد سكان بولونيا في عام ١٧٧٩ اي قبل الاقتسام الاخير ١١ مليون نسمة .
اما اليوم فان عددهم في الاحصاء الاخير يبلغ اربعين مليوناً موزعة في الممالك الثلاث
التي اقتسمتها . والبولونيون في بروسيا والنمسا اكثر عدداً واقوى ساعداً منهم في روسيا
اما بدء اجتماع البولونيين فهو بدء تصرهم . فان اول زعيم لهم يعرفه التاريخ هو الزعيم
بياست الذي يلقبونه الدوق ميسكو وقد اقترن هذا الدوق في عام ١٦٥٠ بالاميرة ديراونكا

ابنة دوق بوهيميا فجعلته زوجته هذه يترك الوثنية ويعتق الديانة الكاثوليكية . وربما كان في هذا الامر قضاء على بولونيا من اول نشأتها لان اعتناق البولونيين الكاثوليكية جعل بعد ذلك بينهم وبين جيرانهم الروس الذين اعتنقوا الارثوذكسية حرباً للموت . ولو ان هذه الصدفه التي جعلتهم يعتقدون الكاثوليكية جعلتهم يعتقدون الارثوذكسية بدلاً منها فربما كانوا حفظوا حياتهم الى الآن والفوا مع جيرانهم الروس دولة عظيمة لم ير التاريخ مثلاً بدلاً من ان تقسمهم الدول التي تجاورهم

ومنذ هذا الزواج عظم شأن البولونيين . وفي عام ١٠٠٠ للميلاد زار الامبراطور اوتون العظيم امبراطور المانيا بولسلاد نجل الزعيم ميسكو الذي تقدم ذكره ورفع عن راسه تاجه الامبراطوري ووضعه على راس بولسلاد علامة على انه صار من اصدقاء الامبراطورية . ثم اشتد ساعد بولسلاد فخارب الالمانيين والبوهيميين وكان اول زعيم بولوني هاجم الروس فوصل في غاراته عليهم الى مدينة كييف واستولى على اقليم تشرفنسك وعين اسقفيات في بلاده ثم نادى بنفسه في عام ١٠٢٤ ملكاً على بولونيا . وكانت روسيا لم تعتق الديانة المسيحية بعد فرغب هذا الملك في دعوتها اليها بالقوة . وكان شديد الشكينة قوي السلطة والشعب بطبعه ويحبه لقوته وصرامته . ولكنه من سوء حظه امر بقتل احد الاساقفة ويدعى ستانيلاس فغضب الشعب عليه فاضطر الى الفرار من بولونيا وترك مشروعه الروسي وربما كانت هذه الحادثة قد غيرت تاريخ بولونيا كله كما تقدمت الاشارة

اما خلفه فقد كان ضعيف السلطة ولذلك بدء في ايامه الداء الذي اودى ببولونيا وهو الفوضى في الاحكام وضعف السلطة الحاكمة . فقد تالف في بولونيا في ذلك العهد احزاب كثيرة من النبلاء والاكليروس والجند وقويت سلطة هذه الاحزاب حتى صارت دولة في الدولة . ولم ينحصر ذلك في هذا الامر بل ان بولونيا انقسمت قسمين قسم سمي بولونيا الكبيرة وهو في الشمال الغربي يحكمه امير من نسل يياست الزعيم الاول وقسم سمي بولونيا الصغيرة وهو في الجنوب الغربي يحكمه امير آخر من نسل يياست المذكور ايضاً . وما زالت هاتان الامارتان في منازعات وحروب حتى كانت غارة التتر والمغول على بلادها في عام ١٢٤١ فاتحدت الامارتان وثبتتا في وجه القبائل التتية ثباتاً عجيباً ادهش الناس وانقذ اوربا كلها من الهلاك . اذ لو فھر التتر والمغول البولونيين فرميا كان السيل التتري جرف اوروبا كلها

وبعد ذلك رأت الامارتان ضرورة اتحادهما لاسيما وان المانيا بدأت تقوى وتتحرك

نحوهما والروس كذلك . فعدنا الى الاتحاد وقررنا ان كل واحدة منهما لا تعين اميرها الا بموافقة الامارة الاخرى ثم عُين مجلس نيابي لمراقبة اعمال الملك في وقت كان يجب فيه تقوية السطة الملكية لا اضعافها . وكان في اكثر المدن مجالس نيابية صغيرة لا تقدر الحكومة على صنع شيء فيها او ادخال امر جديد اليها من غير موافقتها . وقد بقيت بولونيا في هذه الفوضى الى ما شاء الله

اما الدول التي حولها فانها كانت تكبر شيئاً فشيئاً فان الروس اخذوا يؤلفون دولة . وبروسيا كذلك . وتركيا كانت تهدد بولونيا فاصبحت هذه المملكة فريدة في وسط جيرانها ففطر لها ان تحالف هنغاريا وبوهيميا لمقاومة تركيا وروسيا والمانيا ولكن نظامها السياسي كان يحول دون اي عمل تريد عمله للشعب الآراء والسلطات فيها . وكان شأنها يومئذ شان النمسا والمجر اليوم من حيث الاختلاف والنزاع على المصالح السياسية ولذلك يتنبأ الساسة اليوم بمصير النمسا الى ما صارت اليه بولونيا

ولقد احس بهذا المصير كثيرون من عقلاء البولونيين في ذلك الزمان منهم اور زيشوسكي وكريتيوس في اواخر القرن السادس عشر ولكن اصواتهم ذهبت في الهواء وفي عام ١٦١٢ شبت نار الحرب بين بولونيا واسوج فضعفنا كلناهما واستفادت روسيا من ضعفهما . الا ان سيچيسمون ملك بولونيا تداخل على اثر ذلك في شؤون روسيا الداخلية ورام تعيين ابنه ولاديسلاي قيصرًا لروسيا فرفض الروسيون مداخلة الاجانب في شؤونهم وعينوا قيصرًا منهم . وفي اثناء ذلك اخذ البولونيون يضطهدون الارثوذكس في بلادهم فتدأملت روسيا حمايتهم وثار قسم من بولونيا عليها باغراء القوزاق الذين فيها . وحينئذ بلغ الاضطراب في بولونيا اشده واستفحل امر الاحزاب الى حد لم يسبق له نظير . فان مجلس النواب قرر انه لا يجوز للحكومة ان تعمل اي عمل كان اذا عارض فيه بضعة من الاعضاء فصار الملك اسماً بلا مسمى . ولكنه كان يحل مجالس النواب كلما عارضته . فنشأ عن ذلك اختلال عام واخذ الشعراء البولونيون يتنبأون بسقوط دولتهم ولا غرو فان الشعراء كالطيور تعلم بالزوجة قبل حدوثها . وقد قال الشاعر تواردوسكي « نخشى اننا لكثرة ما نخل المجالس ننتهي الى حل دولتنا » وقال كوشوسكي « ان الله صنع العالم بكلمة واحدة وهي « كن » اما نحن فاننا سنفقد بولونيا بكلمة واحدة وهي « اعتراض مجلس النواب » وقال مورزتين « ماذا تحتاج بلادنا . امجدًا عسكريًا ام سلاحًا ام خبزًا . كلا فلديها شيء كثير من هذا . ولكنها تحتاج الى حكومة »

وفي هذا الحين صار لروسيا في فارسوفيا قاعدة بولونيا سلطة عظيمة حتى انه صار السفير الروسي يدير مجلسها النيابي كيفما يشاء وعظم اختلاف العناصر البولونية وغير البولونية في داخل البلاد فانفقت عليها روسيا وبروسيا وكان الملك فردريك ملك بروسيا اول من اقترح اقتسامها للاستراحة من اضطراباتهما الداخلية والخارجية فرضيت روسيا به واقنع فردريك النمسا بوجوب ذلك فجرى اول اقتسام في ٢٥ يوليو من عام ١٧٧٢ . اما البولونيون فانهم ثبتوا ثبات الابطال ولكنهم لم يكونوا قد بنوا حصوناً في بلادهم ولا انشؤا جيشاً منظماً ولا اعدوا اسطولاً وكانوا متفرقي الكلعة والقوى فدارت الدائرة عليهم . وفي عام ١٧٩١ عادت بروسيا الى بولونيا فجرى اقتسام ثانٍ وفي عام ١٧٩٥ جرى اقتسام ثالث كان به القضاء على حريتها واستقلالها

اما الاهوال التي لافاها البولونيون فانها صارت مضرب المثل فانهم لما تحققوا زوال استقلالهم قاموا يطلبون الموت من كل صوب وحذب فذبحت نساؤهم وصبيانهم وشيوخهم في الثورات التي ثاروها على اسيادهم ولكن دماءهم ذهبت هدراً ولم تغز شيئاً . ولما جاء نابوليون الاول انخرط كثيرون منهم في جيشه وحاربوا روسيا والمانيا والنمسا مستمتين فثاروا لانفسهم اشد ثأراً ونبغ منهم كثيرون من اكابر القواد . وكان نابوليون يعدم بانقاذ بولونيا واعادة استقلالها اليها ولكنه لم ينجز وعده

اما الدول التي اقتسمتها فقد صرفت همها الى افناء لغتها وتقاليدها القديمة لتتسيها ماضيها ولذلك تحرم التعليم باللغة البولونية . وقد حدث في هذا العام انه صدر امر الامبراطور غليوم بتدريس التعليم المسيحي في المدارس الابتدائية البولونية باللغة الالمانية بدلاً من البولونية فتتبع صغار البولونيين في مدينة وارشين من درس التعليم المسيحي بالالمانية فاخذهم المعلمون فجلدوهم حتى ادموهم ثم سجنوهم في المدرسة . فلما رأت ذلك امهاتهم هاجمن المدرسة واتخذن اولادهن منها بعد رجها بالحجارة . فقبض البوليس على بعض النساء والرجال وحكم عليهم بالسجن عقاباً لهم فهاج لذلك البولونيون في روسيا والنمسا انتصاراً لاخوانهم في بروسيا وتظاهروا ومظاهرات اهانوا فيها المانيا وسحبوا في الوحل شعار القنصلية الالمانية في فارسوفيا

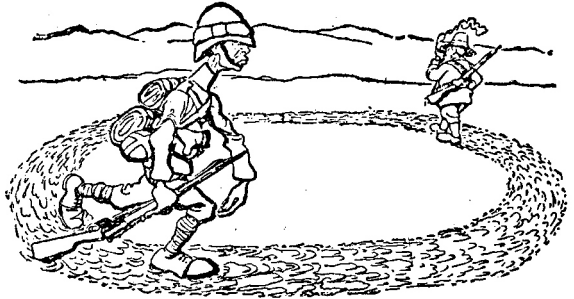
هذه لمحة من تاريخ بولونيا المسكينة ولا يزال كثيرون من ابنائها متفرقين في افطار اوربا يدعون الى حريتها واستقلالها وفيهم نخبة من العلماء ورجال العقول والافلام وقد كتب كثيرون من نابغي كتابهم كتباً عديدة في الفظائع التي صنعت في بولونيا مما

ابكى الجماد وجعل اسم البولوني مقروناً بالقوة الشهامة وحب الموت في الدفاع عن ذويه .
* الترانسفال وحررها *

واما الترانسفال فانها تشبه بولونيا ولا تشبهها . تشبهها من حيث انها ستصير بعد حين الى ما صارت اليه بولونيا ولا تشبهها من حيث انها كانت مستعدة للحرب استعداداً كافياً وكانت سلطتها مؤيدة في داخل بلادها ولم يكن فيها شيء من الاضطرابات والقلاقل التي تضعف الممالك والدول .

ولقد مضى اكثر من سنتين والحرب دائرة في جنوبي افريقيا دون ان يخضع البوير او يضعف لمساعد مع ان عدد المحاربين منهم الآن في الترانسفال والكاب واورانج والنااتال لا يتجاوز ١٥ الف مقاتل وعدد الجيش الانكليزي اكثر من مائتي الف مقاتل . وهذا ما حدا الناس في الشرق الى تشبيه هذه الحرب « بالموال الافرنجي » الذي لا ينتهي وجعل الناس في الغرب يشبهونها بدائرة يدور فيها الانكليزي والبويري دون ان يدركا نهاية . وهذا التشبيه مرسوم في الرسم الاول فانك تجد فيه دائرة مرسومة وفيها جندي من البوير يدخن غليونيه وهو سائر يتبختر ووراءه جندي انكليزي يطارده ويدور وراءه وفي هذه الدائرة على غير فائدة . وهكذا تدوم الحرب الى ما شاء الله

لكن من يعلم ان الحكومة الانكليزية تنفق على هذه الحرب في كل شهر ١٢٥ مليون فرنك لا بد ان يعجب لهذا الصبر الغريب والعناد العجيب وينتظر ان يكون اللورد كتشنر قد جرب شيئاً لانهائها . وفي الحقيقة ان اللورد كتشنر قد صنع شيئاً



حرب الترانسفال عبارة عن دائرة يدور بها الانكليزي والبوير دون ان تنتهي

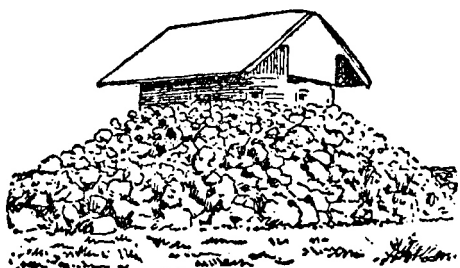
من هذا القبيل . وهذا الشيء صغير يحدد ذاته كالحركة الصغيرة التي قهر بها اللورد روبرتس البوير في وقائعهم معه

ويبان ذلك بالاخص ان قواد حرب الترانسفال قبل اللورد روبرتس كانوا يهاجمون البوير مواجهة فيقف البوير في وجوههم ويطلقون عليهم نارا حامية حتى يرجعهم . ويذكر القراء ان الجنرال بول هاجهم ثلاث مرات عند نهر التوجيلا لانجاد لاديسم المصورة

وفي المرات الثلاث كانوا يردونه برصاصهم . فلما جاء اللورد روبرتس وهاجمهم في المرة الاولى من جهات كبرلي المحصورة ثبتوا في وجهه وحاولوا صدّه ولكن اللورد روبرتس قائد نيبيه فانه ما تحقق ثباتهم في وجهه حتى مد خطوط جيشه ورام ان يدور من ورائهم ليؤهمم انه ينبغي الاحاطة بهم . فلما ابصر البوير هذه الحركة عادوا القهقري خوفاً من الانحصر . وهكذا اكتشف اللورد روبرتس سر النجاح معهم فصار كل ما لقيهم لا يهاجمهم ولكنه يمد خطوط الجيش و يظهر انه يروم الاحاطة بهم فيفروا من بين يديه كالمصافير من مخالب الباشق . وقد امر الجنرال كرونجه وجيشه امام كبرلي لانه لم يستطع الفرار سريعاً قبل احاطة فرسان الجنرال فرنش بمجنوده

هذا هو السر الذي اكتشفه اللورد روبرتس في هذه الحرب وكان مفتاح نجاحه ولكن بعد ان عاد اللورد روبرتس الى انكلترا وتفرق البوير شراذم شراذم لحرب المناوشات لم يعد ذلك السر نافعاً . فلجأ اللورد كيتشنر الى امر آخر وهو بناء الحصون والمراكز العسكرية في السهول والقفار لتلجأ الجنود الانكليزية اليها وتحارب شراذم البوير منها . وهذه المراكز مبنية فوق آكام من حجارة على مسافة ميلين او ثلاثة بعضها عن بعض واليها ينسب اللورد كيتشنر ما ناله من النجاح في المدة الاخيرة . ويقول العارفون ان البوير لا يخضعون

ويسكنون حتى تملي اراضي بلادهم سهولاً وجبالها بحصون كهذه الحصون . وقد رسمنا في الشكل الثاني احدها



ومع ذلك فاذا خضع البوير الآن فان مثال بولونيا التي تنتفض وتنتفض من حين الى حين يدل على صدق قول المتنبي

المراكز العسكرية المجيدة التي بُرِجى اجضاع البوير بها

وان الجرح ينفر بعد حين اذا كان الشفاء على فساد

وهذا يدكرنا قول من قال " لا يجب ان نقطع الامم المستعبدة املاها من الحرية مهما طراً عليها لان المستقبل مثقل بالفواجىء والمباغئات . ولكن عليها ان تحفظ نفسها اي ان تصون لغتها وعاداتها ولا تقنى في سيدها . فالامر المهم هو ان تبقى ثابتة كامّة واما حريتها فتاتي نوبتها في المستقبل الابدى "



كلام للقراء عن موضوع رنان

* بضع رسائل *

لما نشرنا ترجمة بوذه في السنة الماضية قلنا اننا سننشر تراجم اصحاب الشرائع اليهودية والمسيحية والاسلامية كما يكتبها العلماء وكما يكتبها المتكلمون اي علماء الدين . ولم يكن الغرض من ذلك ذكر التراجم ذكرًا دينيًا وانما كان الغرض ذكر تلك الحوادث العظيمة الماضية باسهاب يُطلع القراء على حالة الوَسَط التاريخي الذي كان في ايام اصحاب هذه الشرائع لان تلك الحوادث هي اعظم الحوادث البشرية التي غيرت وجه العالم ومن الواجب الاطلاع عليها . وقد لخصنا في الاجزاء الاخيرة وفي هذا الجزء كلامًا للفيلسوف رنان عن تاريخ السيد المسيح وكنا نوءمل ان يكون له من الجهة التاريخية وقع عظيم لدى القراء لما فيه من الوصف التاريخي الذي جردناه عن كل ما يחדش الازهان . فيظهر من الرسائل التي تراكمت علينا ان املنا كان في محله بل انه تجاوز محله وقد ارتاح جميع القراء الى المباحث التاريخية اللطيفة التي وردت في هذا السياق

على ان الرسائل قد تكاثرت علينا الى حد يوجب علينا الاشارة اليها ونشر شيء منها . فنبدأ بالرسالة التالية

كتب الينا صديق من سوريا يقول :

« لما رأيت عنوان كتاب رنان في الجزء الثاني من الجامعة قلت سقيًا لك بامصرام الحرية التي صارت اقوال رنان تُترجم فيك . ثم سررت بان الجامعة عملت عملاً يدل على استقلالها وعدم خوفها في ما تنشره لومة لائم . ولكن بقدر سروري حين وقوع نظري على عنوان الكتاب كان استيائي حين قراءتي مقالات رنان في الجزء الاول والثاني والثالث . فاني كنت كلما اقرأ لا اشم شيئًا كثيرًا من رائحة رنان بل كنت ارى ان الجامعة تصرف بالكتاب الذي « قطع رنان عمره في كتابته » تصرفًا اخرجته عن موضوعه الاصلي . ولوعاد رنان الآن من قبره الازلي لانكر هذا التلخيص الذي شوه فكره ولما عرف كتابه . فكيف تستجيز مجلة كالجامعة هذا التصرف . وهل تطيق ان ياخذ احد احدى مقالاتها ويقلبها الى غير الغرض المقصود بها بجذفه كل ما لا يريد منها

» وما اضحكي ان احد المعارف بعد مطالعته جميع مقالات رنان في الجامعة جاءني

وقال : حقاً ان الاكليروس في اوربا على غاية من التعصب . فسألته ولماذا . فاجاب اني قرأت تاريخ رنان في الجامعة فلم اجد فيه شيئاً يستحق الاضطهاد الذي لقيه منهم مؤلفه . فضحكت حينئذ واجبتة : ليس الذي قرأته في الجامعة تاريخ رنان ولكنه تلخيص رنان فاذا شئت رنان الحقيقي فاقرأه في كتابه المطول تعلم مقدار التصرف الذي تصرفت به الجامعة لتهون على الناس قراءته . وحينئذ مثلت له الجامعة واقفة بازاء رنان « تسمط » اذنه من هنا وتدفعه من هناك ونقطع من ثوبه من هنالك ثم لم اتمالك ان قلت ضاحكاً ان رنان اذا التقي بحضرة منشيء الجامعة في اليوم الاخير فانه يناقشه الحساب على ذلك

« والخلاصة اني آسف لان الجامعة لم تنقل هذا الكتاب كما كتبه مؤلفه لاننا نعتبر انها تحرص على مبادئ الحرية وصدق النقل في ما تنشره حرصاً ما وراءه حرص . وعندي انه خير للجامعة ان لا تنقل هذا الكتاب من ان تنقله وتحذف منه ما تظن حذفه واجباً الخ . . . »

وكتب الينا احد القراء الافاضل من اميركا يقول :

« ان القراء ينتظرون وصول الجامعة كما ينتظر الظمان الماء لمتابعة مقالات رنان وغيرها من مباحث الجامعة الجامعة . ويسرني ان اخبر جنابكم ان تلك المقالات قد حازت رضى العموم مهما كانت اعتقاداتهم لانهم يقرأونها كما يقرأون تاريخاً لا كما يقرأون بحثاً دينياً فاذا وجدوا فيها شيئاً غير منطبق على اعتقادهم اغضوا عنه وتركوه والتفتوا الى المسائل التاريخية التي صرف رنان عمره كما قلتم في البحث فيها . وبما يساعد على هذا الاعتدال في الاميال والافكار هواء الحرية هنا الذي ينعش الصدور ويجلو الجهل عن العقول ويعلم ان البشر انهم اخوان ومن طبيعتهم الاختلاف في الاراء والمذاهب فيجب ان يحملوا بعضهم بعضاً كما يقول المثل والا كان العالم كله عبارة عن ساحة حرب ونزال فترجوكم ان تكثر من هذه المباحث وحذا لوملات كل مقالة من تلك المقالات في كل جزء نصف صفحات المجلة »

اما كاتب الرسالة التالية فهو من اصدقاء الجامعة ولكنه بصرخ كانه ينفخ في بوق « سلام في سلام . . اما بعد فالآن قد وضعت الفأس على اصل الشجرة فكل شجرة لا تعطي ثمرأً تقطع وتلقى في النار . فترجو منكم ان تكملوا هذه المباحث ولا تنصرفوا بها كما ذكرتم في ترجمة مؤلفها . وانما نطلب ذلك بنوع خصوصي لقراءة ما قاله فيها رنان عن

الكهنة اليهود فانه قد بلغني ان رنان وصفهم وصفاً ينطبق عليهم وعلى اكثر كهنتنا لشابه الحالتين . فلا تطفوا للهجة هناك اذ ليس فيها ما يس المذاهب قطعياً بل انها نافعة للشعب لانها تنبهه الى مصالحه الحقيقية وهي مراقبة اعمال رؤسائه وطلبه الاشتراك معهم في ادارة شؤون الطوائف والعمل لمنفعتهم لا لمصلحته . فالآن قد وضعت الفاس على اصل الشجرة فدعوا رنان بضرب ولا تحففوا ضرباته »

وكتب صديق قريب من الجامعة جداً يقول « قد يستاء بعض البسطاء والجهلاء من مقالات رنان لانهم لا يفهمونها فهم معذرون واذا فهموها أوّلوها الى غير المقصود منها . اما انا فلو سئلت عن رايي الشخصي في هذا الموضوع لاجبت اني قرأت الصيف الماضي كتاب « تاريخ المسيح » لرنان وارى ان هذا الفيلسوف مع ما يتهمونه به من انكاره المسيحية هو في الحقيقة كما يقول عن نفسه « الماشي على خطوات المسيح » وليس غريباً ان يضطهد الرجل لتصريحه بحقائق ينقل سمعها لأول مرة فالمسيح قبله صابوه لانه قال ما يقوله الآن رنان من وجوب عبادة الله بالروح والحق لا بغير ذلك من الامور التي لا يفقه لها معنى »

هذا ما اكتفيناه به من الرسائل العديدة التي وردتنا بهذا الشأن . وعليها نرد بقولنا — ان صاحب الرسالة الاولى اخطاء بقوله اننا تصرفنا بكتاب رنان تصرفاً غير وضعه فاننا لم نصرف بكتاب رنان ولكننا « حذفنا منه كل ما لا يجب ذكره احتراماً للمعتقدات » كما قلنا في ترجمة رنان في الجزء الثاني (الصفحة ٧٩ السطر الاخير) وذلك لان « غرضنا على تاريخي محض واما المساله الدينية الكبرى فلا دخل لها هنا » وهكذا قلنا في الصفحة ٨٠ ايضاً . وانما حذفنا ذلك لسببين الاول ان رنان تطرف في بعض الاقوال تطرفاً لم ينبه الا على الظن والتخمين وقد اشار الى ذلك في مقدمة كتابه . فما الفائدة من التعب في نقل الظن والتخمين . والسبب الثاني ان عدد صفحات الكتاب ٥٥٢ صفحة فلو نقلناها كلها لملأت اجزاء كثيرة من الجامعة . اما قول المراسل انه يجوز لرنان ان يناقش الجامعة الحساب على هذا التصرف فنرده بكلمة واحدة وهي ان رنان نفسه قد راي في حياته وجوب تلخيص كتابه وحذف كل ما يتخذه اذهان المؤمنين منه فلخصه في كتيب صغير يقرأه المسيحي وغير المسيحي بسرور وهو يباع للشعب الفرنسي بفرنك مع ان ثمن كتابه الكبير سبعة فرنكات ونصف . فهل تلام الجامعة اذا صنعت ما صنعه رنان نفسه وآخر ما نقوله بهذا الشأن اعادة ما ذكرناه قبلاً وهو اننا لا نقصد بنشر هذا الكتاب

الا المواضيع التاريخية والاجتماعية منه . ونحترم ما بقي احتراماً يوجب علينا عدم الدخول فيه كما قال ديكارت لاننا ابعد الناس من البحث في القضايا الدينية ولا سيما في زمن كهذا الزمن . وقد قال لنا كثيرون من القراء انهم بحثوا كثيراً منذ سنوات ليقفوا على وصف الاماكن المقدسة يوم ظهور السيد المسيح وكيف كانت حالة بني اسرائيل يومئذ وعلاقتهم بالرومانيين وذكر المبادئ التي كانت تحتاج في نفوسهم ووصف مجامعهم وروسائهم وعلمائهم فلم يجدوا ذلك الا في هذه المقالات . نقول وهذا غرضنا من نشرها

اما صاحب الرسالة الثالثة الذي هو صاحب الفاس فاننا لا نقبل رايه وفاسه الا من جهة واحدة . ذلك لانه اذا كان في طبقة روساء الاديان في كل ملة ودين قوم يصح فيهم ما قاله رنان عن الفريسيين ففيهم ايضاً قوم افاضل بسطاء الاخلاق قد نبذوا الكبرياء والطمع في المال ونذروا النقر والتواضع ووقفوا انفسهم لخدمة شعبيهم وبني جنسهم . فالعدل يقتضي الثناء على هؤلاء حين ذم اولئك لثلاً يؤخذ الصالحون بحريرة الاردباء وان كان الاردباء يتسلطون في اكثر الاحيان على الصالحين ويكون القول قولهم والفعل فعلهم . ولا ريب عندنا ان الفئة الصالحة من روساء الدين ينبغي ان تطلع على ما يقوله العلماء عن الامور الدينية لتأخذ من افوالهم فوق ما تأخذ من مصادرها اليومية قوة تعصمها عن الوقوع في ما وقعت به الفئة الرديئة وتذكرها الحادث العظيم الذي ضحيت فيه منذ ١٩ قرناً اثنى فدية في هيكل التعصب والجيل والطمع والاستبداد ونسيان الدين الحقيقي

تاريخ السكر وصناعته

* تاريخ استعمال السكر * السكر كلمة هندية معناها المحب اي الجسم ذا الحب واصله من الهند والصين . اما نافلة من الهند الى اوربا وآسيا فهو احد فواد اسكندر المكشوف وقد عاد به من تلك البلاد في عام ٣٢٥ قبل الميلاد المسيحي ولم يكن معروفاً قبله . وكان اليونان يسمونه « عسل القصب » او « الملح الهندي » وكان نادراً في بدء امره وغالي الثمن جداً فلم يكن يبتاعه احد غير الاغنياء . وبعد موت الاسكندر زرع قصب السكر في بلاد العرب فاخذه الرومانيون منها ولكنهم كانوا يفضلون السكر الهندي على السكر العربي كما روى مؤرخهم بلينيوس